أساليب التوبيخ

في القرآن الكريم

أ. د. عباس علي الأوسي

الألوكة
www.alukah.net

أساليبُ التّوبيخِ في القرآنِ الكريمِ

أ.م.د.عباس علي الأوسي
جامعة ميسان – كلية التربية

الجديد و حصري
NEW & EXCLUSIVE

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن سرّ من أسرار الإعجاز القرآني المتجدد ، وثراء النصّ القرآني غير المحدود في أنماط التعبير ، وجمع شتات موضوعات التوبيخ المتفرّقة بين الدراسات القرآنية واللغوية والنحوية والبلاغية ؛ لتحديد ماهيته ووضع تعريف جامع له ، واستجلاء بناه في النص القرآني بمستوياتها: الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والنحوية، والدلالية ، وتفاعلها مع بنى الخطاب الأُخر في النص القرآني ووظائفها في أنساقه المتنوعة .

التمهيد :

التَّوبيخ لغة : الملامةُ، وَبَّخُته بسوء فعله، والتّأنيبُ: التَّوْبيخُ واللَّوْم (١) ، والتوبيخ: التهديد والتأنيب (٢)، وبَكَّتَهُ تبكيتاً إِذا قَرّعهُ بالعَذْلِ تقريعاً ، والتبكيت: أن تستقبل الرجل بما يكره : بالسيف أو العصا أو الكلام(٣).

والتَّوْبِيخُ وَالتَّعْيِيرُ مِنْ بَابِ اللَّوْمِ(٤) ، و أَنَّبَ الرَّجُلَ تأْنِيباً: عَنَّفَه ولامَه ووَبَّخَه، وَقِيلَ: بَكَّتَه. والتَّأْنِيبُ: أَشَدُّ العَذْلِ، وَهُوَ التَّوْبِيخُ والتَّثْرِيبُ. والتَّعْنِيفُ: التوْبيخُ والتقْريعُ واللَّوم(٥) ، والتّوبيخ بصيغة (تفعيل) : اللّوم الشديد العنيف ، وقيل التقريع على جهة الزجر(٦).

والزَجرُ: المَنْعُ والنَهْيُ(٧) ، والنَّهْي الزّجر عَن الشَّيْء بِالْفِعْلِ أَو بالْقَوْل، كـ(اجتنب) ، وَشرعا (لَا تفعل) استعلاء على سبيل الإلزام ، وَعند النَّحْوِيين صِيغَة (لَا تفعل) حتاً كَانَ على الشَّيْء أَم زجرا عَنهُ، وَفِي نظر أهل الْبُرْهَان يَقْتَضِي الزّجر عَن الشَّيْء سَوَاء كَانَ بِصِيغَة (افْعَل) أَو (لَا تفعل)؛ لِأَنّ نظر أهل الْبُرْهَان إِلَى جَانب الْمَعْنى، وَنظر النَّحْوِيين إِلَى جَانب اللَّفْظ (٨) ، والنهي عن المنكر: الزجر عن ما لا يلائم في الشريعة ، و الزجر منع بتهديد(٩)، وتوبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له ، وهو ضرب من العقوبة (١٠) .

والتحضيض لا يَخْلُو من التوبيخ واللوم على مَا كَانَ يجب أَن يَفْعَله الْمُخَاطب قبل أَنْ يُطْلب مِنْهُ ، فكلّ تحضيض يتضمن معنى النفي(١١)، و(تستعمل (لولا) كثيرا فِي لوم الْمُخَاطب على أَنه ترك فِي الْمَاضِي شَيْئا لَا يُمكن تَدَارُكه فِي الْمُسْتَقْبل، فَكَأَنَّهَا من حَيْثُ الْمَعْنى للتحضيض على فعل مثل (مافات) وقلما تسْتَعْمل فِي الْمَاضِي أَيْضا إِلَّا فِي مَوضِع التوبيخ واللوم على مَا كَانَ يجب أَن يَفْعَله الْمُخَاطب قبل أَن يطْلب مِنْهُ) (١٢).

فأكثر ما يقع التوبيخ في أمر ثابت وبِّخَ على فعله ، كما يقع على ترك فعل ينبغي أنْ يقع(١٣) ، كقوله: ﴿أولَمْ نعمِّركم ما يتذكّر فيه مَنْ تذكّر﴾ (١٤)،﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (١٥).

لذا يمكننا أنْ نعرّف التوبيخ بأنه لوم المخاطب بشدّة على فعلٍ أو ترك فعل ، فهو طلب من الموبَّخ والمتلقي في الحياة الدنيا اجتناب الموبَّخ به على سبيل الزجر والتأديب أما إذا استحال الموبَّخ به على الموبَّخ في الدنيا و الآخرة فلا استدعاء فيه للموبَّخ إلى اجتناب الموبّخ به ، فهو في هذه الحالة توبيخ وتنديم وإهانة على سبيل الزجر ، فكلّ توبيخ على فعل أو ترك فعل هو استدعاء المتلقي إلى اجتناب المُوبَّخ به ، فإنْ كان المُوبَّخ قد ترك فعلا فالتوبيخ هنا يتضمن معنى النهي عن تكرار عدم الفعل والأمر بفعله في المستقبل، فيزول استمرار عدمه ، وإنْ كان الموبّخ قد فعل فعلا ، فالتوبيخ هنا نهي عنه في المستقبل ، كالنهي بصيغة (افعلْ) كـ (اِجْتَنِبْ) و صيغة (لا تَفْعَلْ) ، فحال التوبيخ حال الأمر والنهي قد يأتي بأسلوب طلبي أو بأسلوب خبري متضمنا معنى الطلب .

فالتوبيخ في الحياة الدنيا يحتمل التدارك وعدمه ، فهو يتضمن الطلب من المُوبَّخ والمتلقي اجتناب ما وُبِّخ به الموبَّخ ، وإنْ كان المُوبَّخ لا يستطيع تدارك المُوبَّخ به، فتوبيخه للّوم والتهديد فلا يتضمن حينذاك الطلب منه اجتناب ما وُبِّخ به ، بل يتضمن الطلب من المتلقي اجتناب ما وُبِّخ به المُوبَّخ ، وكذلك توبيخ الموبَّخ في الحياة الآخرة ،

فهو تقريع على ما مضى وانقضى ويستحيل تداركه ، فالتوبيخ هناك للّوم و التنديم والتحسير و التعجيز و الإهانة .

فخلاصة القول أنّ التوبيخ لوم بشدّة يتضمن الطلب من المُوَبَّخ والمتلّقي فعلا أو اجتناب فعل إلا إذا استحال على المُوبَّخ تدارك الموبَّخ به فلا طلب فيه حينذاك من الموبَّخ ، ولكنّه يبقى في كلّ الأحوال استدعاء للمتلقي إلى اجتناب الموبَّخ به ، وهو قرينة معنوية تُدرك بمعونة القرائن الأُخر: المقالية والمقامية ، فهو معنى سياقي، يرد في سياق الترهيب.

والأسلوب لغة : كلُّ طريقٍ ممتدٍّ ، والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ تأخذ فيه، و يقال : أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ، وإِنَّ أَنْفَه لفي أُسْلُوبٍ إِذا كان مُتكبِّراً .

أمّا اصطلاحا فهو الفَنُّ ، يقال : أَخَذ فلانٌ في أَسالِيبَ من القول أَي : فنون متنوعة ، وطريقة الكاتب في كتابته ، والفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول فنونا متنوعة(١٦) ، وبتضافر القرائن الداخلية والخارجية نتلمس دلالة الأسلوب على التوبيخ.

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

التوبيخ الصوتي

القيم التعبيرية للأصوات تتأتى من جرس الأصوات ودقة اختيارها ، ووضعها في نسق صوتيّ خاص ؛ ليناسب المعنى وظلاله ، فالعلاقات الدلالية والإيحائية تتولد من جرس الصوت ذاته والبناء الصوتي للفظة الواحدة التي يرد فيها، وتضامها في السياق الصوتي العام الملائم للدلالة والجوّ الإيحائي الذي يحيط بتلك الدلالة فيضفي ظلالاً على الدلالة ، قال ابن جني : (فإنّ الكثير من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر بها عنها)(١٧) .

فاستثمر الاستعمال القرآني الصفات الصوتية لتصوير مشاهد الزجر والتقريع ، فقد ناسب تردد أصوات القاف والتاء والهمزة الانفجارية في قوله تعالى :﴿ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾ (١٨) سياق تقريع الله سبحانه المنقلبين ، والتغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في أُحد بعد انتشار خبر قتله (١٩) ، و(في التعبير تصوير حي للارتداد ، فهذه الحركة الحسية في الانقلاب تجسم معنى الارتداد عن هذه العقيدة ، وكأنه منظر مشهود ، والمقصود أصلا ليس حركة الارتداد الحسّي بالهزيمة في المعركة، ولكن حركة الارتداد النفسية) (٢٠).

و ضربات الراء المتلاحقة ونبوّه في اللسان ؛ وتكرار التاء وشدّتها ، وتتابع صوت الهمزة الانفجاري الشديد وهمس السين وترديد النون وغنتها وتنغيم الاستفهام الإنكاري في قوله : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢١) تصوير سمعي لأشدّ تقريع من الله سبحانه لبني إسرائيل ، و(لكلّ واعظ يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا ينزجر ، ينادي الناس البدار البدار ، ويرضى لنفسه التخلف والبوار ، ويدعو الخلق إلى الحقّ ، وينفر عنه) (٢٢) .

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

وتكرار الاسم الموصول وصلته (الَّذينَ ظَلَمُوا) في قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قيلَ لَهُم فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٢٣)، زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم ، والمبالغةِ في الذمّ والتقريع وللتصريح بظلمهم أنفسهم (٢٤).

وقد وازن بين (اللام) و(القاف) في : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيق﴾(٢٥) ، فقد ورد كلّ منهما أحدى عشرة مرّة، فوازن بين ميوعة اللام المنسجمة مع جوّ استهزاء قوم من اليهود بالقرآن الكريم والاستخفاف بهم ؛ فقول الملائكة لهم : ﴿ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ في الآخرة (بشارة لهم) على سبيل التهكم ، وبين ثقل القاف و شدّتها التي جسّمت شناعة الجرم وفظاعة سوء الأدب ، وتهديد الله سبحانه وتقريعه لهم ،وبين ما بدر منهم قولا وفعلا وبين كون الجزاء قولا وفعلا ؛ إذ (القول في هذه الآية أشنع الأقوال في الله تعالى ، والقتل أشنع الأفعال التي فعلوها مع أنبياء الله تعالى ، وتشريك القتل مع هذا القول يدل على أنهما يسببان في استحقاق العقاب . ولما كان الصادر منهم قولاً وفعلاً ناسب أن يكون الجزاء قولاً وفعلاً ، فتضمن القول والفعل قوله تعالى :﴿ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾ . وفي الجمع بين القول والفعل أعظم انتقام ، ويقال للمنتقم منه : احْسُ وَذُقْ) (٢٦).

والتقابل طريقة من طرائق التوازن النغمي ، فقد طابق في قوله تعالى : أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ، بين (من يخلق) و(من لايخلق) ، وهو تبكيت للكفرة ، وإبطال لإشراكهم وعبادتهم غيره تعالى من الأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينه سبحانه وبينه بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا(٢٧).

والبنية الصوتية لسورة (التكوير) ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

أَحْضَرَتْ * فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) جسمت مشهد تقريع المشركين وتهديدهم (٢٩) فجاءت مشحونة بالأصوات الشديدة والمجهورة والإيقاع العنيف ، فترددت التاء والقاف والكاف والباء والطاء والجيم والهمزة والدال ، وأصوات المدّ بقيمتها الإسماعية العالية ؛ لتناسب الدلالة ، فإنها (إذا وقعت بين الحرفين كان لها صدى)(٣٠) ، وتضعيف الأصوات في (كُوِّرَتْ) و(سُيِّرَتْ) و(عُطِّلَتْ) و(سُجِّرَتْ) و(زُوِّجَتْ) و(سُعِّرَتْ) و(الْخُنَّسِ) و(الْكُنَّسِ) و(تَنفَّسَ) ، والتكرار بصيغة (فعلل) في (عسعس)، وصيغة البناء للمجهول ، فكلّ ذلك ناسب جوّ التقريع الشديد والتهديد.

التوبيخ الصيغي :

يضفي البناء الصرفي للمفردة عند وضعها في نسق دلالي معين قيما إيحائية جديدة لم يمتلكها معناها المعجمي من قبل ، فالقيمة الصرفية توجه المادة الأساس وتضعها في مجال وظيفي معين(٣١) ، والسياق اللغوي والمقامي يحدّد تلك الدلالات والإيحاءات .

التأنيث :

في قوله تعالى : ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٢) تعجيب من المشركين وتهكّم بهم ؛ لأنّ الخوف إذا كان ممن له اختيار كان أقوى لمخالفته ، وكان من المعلوم بديهة أنه لا اختيار لهم فضلاً عن العقل ، فعبّر بما يعبر به عن الذكور العقلاء تهكماً بهم ؛ لكونهم ينزلونهم بالعبادة وغيرها منزلة العقلاء ، مع اعترافهم بأنهم لا عقل لهم ، فصاروا بذلك ضحكة وشهرة بين الناس : (بالذين) وبيّن حقارتهم بقوله : (من دونه) وهم معبوداتهم ضلالاً عن جادة الحقّ(٣٣) .

وبالغ في تنبيههم نصحاً لهم ليرجعوا عن ظاهر غيهم بما ذكر من دناءتها وسفولها بالتعبير عنها بالتأنيث بقوله : (هَلْ هُنَّ) في ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٤) ، أي: هذه الأوثان التي تعبدونها ، فالتعبير عنهم بالتانيث زيادة في التهكم بهم و توبيخهم (٣٥).

التنكير :

منه تنكير الضرّ في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٦) في السياق التوبيخي لإفادة القصد إلى اليسير من الضرّ وإلى الناس المستحقين أنْ يلحقهم كلّ ضرّ، وللتنبيه على

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

أنّ مساس قدر يسير من الضرّ لأمثال هؤلاء حقّه أنْ يكون في حكم المقطوع به ، ومعنى (نفحة) المعجمي وبناؤها للمرّة و لفظ المسّ وإسناده إلى (ضرّ) مبالغة في التقليل(٣٧).

الجمع :

ومثاله توبيخ كلّ خوّان في قوله تعالى: ﴿وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾ (٣٨) ، فالاخْتِيَانُ الخيانة ، فقد (جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها: لأنّ الضرر راجع إليهم. فإنْ قلت: لم قيل (لِلْخائِنِينَ) ويَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ وكان السارق طعمة وحده؟ قلت: لوجهين، أحدهما: أنّ بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه، فكانوا شركاء له في الإثم. والثاني: أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته، فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه) (٣٩).

وهو توبيخ عام لا ينحصر بطُعمة بن أُبيرق، وقومه الذين شاركوه في الإِثم؛ إذ شهدوا على براءته من السرقة وجادلوا عنه ، بل يشمل هؤلاء وأمثالهم ويؤيد ذلك الاسم الموصول (الذين) الدال على الجمع ، وواو الجماعة في (يختانون) ، و الجمع في (أنفسهم) والاسم الموصول (من) الدال على العموم .

جمع المؤنث السالم :

وردت (مَعْدُودَاتٍ) في ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٤٠) بصيغة جمع المؤنث السالم لما فيه من الدلالة على القلة كموصوفه ، وذلك أليق بمقام التعجيب والتشنيع على أهل الكتاب زعمهم أنّ النار لن تمسّهم إلا أياماً قلائل ، فأتى بلفظ الجمع مبالغةً في زجرهم ، وزجر من يعمل بعملهم(٤١) .

البناء للمجهول:

لم يسند الفعل (تُصْرَف) في قوله سبحانه : ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٤٢) إلى ضمير المشركين على جهة الفاعلية إشارة إلى أنه بلغ من الشناعة إلى حيث أنه لا ينبغي أن يصرح بوقوعه منهم (٤٣).

والخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤) عام للمؤمنين والمشركين ، وفيه وعد للمقرين ووعيد للمنكرين ، وقيل هو وعيد فقط على أن الخطاب للمشركين لا غير توبيخا لهم ؛ لذا عدل عن مقتضى الظاهر وهو : وإليه يرجع الأمر كله ، ففيه دلالة على أنهم استحقوا غضبا عظيما في قوله تعالى: (تُرْجَعُونَ) على البناء للمفعول ، لمناسبة السياق و رؤوس الآي ، مع وجود التناسب المعنوي للسياق(٤٥).

صيغة تَفَاعَل :

مثاله (يتعارفون) في قوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٦) ففي معرفة بعضِهِم بعضاً وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخُ لهم وإثبات الحجةِ عَلَيْهِمَ(٤٧).

و ذكر (يتلاومون) في قوله ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ* قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ (٤٨) ، تنبيه على أنه إذا لم يلاموا لم يفعل بهم ما فوق اللوم، والتلاوم: أن يلوم بعضهم بعضا ويذمّ بعضهم بعضا(٤٩).

صيغة المبالغة وأسلوب الحكيم :

من المفسرين من جعل قوله : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٥٠) من كلام الملائكة يجيبون به قول الكفار ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ (٥١) فهذا جواب يتضمن بيان مَن بعثهم مع تنديمهم على تكذيبهم به في الحياة الدنيا حين أبلغهم الرسل ذلك عن الله تعالى ، وكان الظاهر أن يجابوا بالفاعل لأنه الذي سألوا عنه بأن يقال الرحمن أو الله بعثكم لكن عدل عنه إلى ما ذكر تذكيراً لكفرهم وتقريعاً لهم عليه مع تضمنه الإشارة إلى الفاعل ، والمعنى : لا تسألوا عن الباعث ؛ فإن هذا البعث ليس كبعث النائم وإن ذلك ليس مما يهمكم الآن ، وإنما الذي يهمكم أن تسألوا ما هذا البعث ذو الأهوال و

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

الأفزاع ، وفيه من تقريعهم ما فيه ، و التعبير عن اسم الجلالة بصفة (الرحمن) حينئذٍ من كلام الملائكة ؛ لزيادة توبيخ الكفار على تجاهلهم به في الدنيا(٥٢).

بناء المرّة:

أَخْبَرَ تَعَالَى بقوله : ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٥٣) أَنَّ الَّذِينَ صَمُّوا عَنْ سَمَاعِ مَا أُنْذِرُوا بِهِ إِذَا نَالَهُمْ شَيْءٌ مِمَّا أُنْذِرُوا بِهِ، وَلَوْ كَانَ أدنى شيء لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ، فبالغ سبحانه بتوبيخهم بذكر المسّ وما في النفحة من معنى القلة، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة(٥٤).

التوبيخ النحوي :

لا يمكن تحديد المغزى من إيثار صوت أو مفردة أو تركيب ، إلاّ بمعونة السياق ببعديه الداخلي والخارجي ؛ فكلّ المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية في الحقيقة تعتمد على العلاقات السياقية ، والخروج المقصود عن الأنساق التعبيرية المألوفة إنما يُقصد به توسيع ظلال المعنى ، وتحقيق الإيحاء النفسي؛ لمناسبة المقام وإحكام العلاقة بين النصّ والمتلقي؛ لأنّ المخالفة بين المبنى والمعنى أبلغ في الدلالة على المراد وآكد في التنبيه إليه ، وما التوبيخ إلا نتاج تلك العلاقات السياقية المخصوصة .

القرائن المعنوية :

القرائن المقالية قرائن علائقية تتضافر معها قرائن المقام على إحكام صياغة النص ، و فهم أحكام الصياغة(٥٥) .

والقرائن المعنوية علاقات سياقية بين عناصر التركيب ؛ لتبيان المدلول المراد مع منع غيره من الدخول فيه، بالتضافر مع القرائن اللفظية ، فيستدل بها عن طريق العقل ؛ لتحديد المعنى النحوي الخاصّ.

الإسناد إلى الضمير المنفصل

منه إسناد (يقولون) في ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٥٦) إلى ضمير المنافقين (هم) ؛ لتوبيخهم وتسفيه أحلامهم في ظنّهم أنّ رزق المهاجرين بأيديهم و(يقولون) هي حكاية حالهم في الدنيا (٥٧).

والضمير (أنتم) في قوله سبحانه : ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (٥٨) تعريض بتوبيخ الرؤساء ؛ لأنهم السبب فيه بإغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه ، فأسنِد التقديم إليهم (٥٩).

الإسناد إلى الإشارة :

عَظَّمَ اللَّهُ سبحانه وعيد الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بمعاينتهم ما يعذبون به فيقال لهم : ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (٦٠) ، فعظّم الله تبكيتهم بأنْ يقال لهم : هذا ما كنزتم لأنفسكم لم تؤثروا به رضا ربكم ولا قصدتم بالإنفاق منه نفع أنفسكم والخلاص به من عقاب ربكم ، فصرتم كأنكم ادخرتموه ليُجعل عقاباً لكم على ما تشاهدونه(٦١).

وَقَوْلُهُ سبحانه : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (٦٢) أشدّ ما يكون التقريع والتوبيخ بمجابهتهم بالمَوْقِفِ المَهُولِ الذي يؤول إليه المُكَذِّبون المجرمون(٦٣) .

وَالْإِشَارَةُ في ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٦٤) إِلَى الْقُرْآنِ ؛ لإرادة تبكيتهم لنفيهم نزوله بجعله كالحَاضِرِ المُشَاهَدِ، فَأَتَى بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لِزِيَادَةِ تَمْيِيزِهِ تَقْوِيَةً لِحُضُورِهِ فِي الْأَذْهَانِ ، وكناية بالإشارة عن كون المشار إليه أمراً مطلوباً مبحوثاً عنه فإذا عُثر عليه أشير إليه (٦٥).

والإشارة بـ (ذلك) في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ (٦٦) للتعظيم وتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحقيقي ، فلم تقل : فهذا ، ويوسف حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أنْ يُحبَّ ويُفتَتَنَ به(٦٧) .

الإسناد المجازي :

منه جعل الليل والنهار ماكرين في سياق توبيخ الأتباع مضليهم بعد زوال رئاستهم في الآخرة في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (٦٨) أي : مَكَرَ بنا الليلُ والنهارُ ، فجعل ليلهم ونهارهم ماكِرَيْنِ على الإسناد المجازي مبالغةً في كثرةِ وقوعِه منهم فيهما ، فكثيراً ما يقع الإسناد إلى الظرف ، وفي الحقيقة الإسناد إلى غيره ، قال سيبويه : (ومثلُ ما أُجْرِيَ مُجرى هذا في سَعة الكلام والاستخفافِ قوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (٦٩) فالليلُ والنهار لا يمكُرانِ، ولكنّ المكرَ فيهما) (٧٠) .

أو هو من باب إضافة الاسم إلى زمانه، فيكون المعنى : مكركم في الليل والنهار ، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه(٧١).

التخصيص :

لا يبلغ درجة التعريف ، وهو قرينة سياقية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية هي قيود على علاقة الإسناد ، يوضّح كلّ منها جهة خاصة في فهم معنى الحدث(٧٢)، استثمر النصّ القرآني هذه القرينة في الدلالة على معنى التوبيخ ، فجاء منه :

التخصيص بالتعدية :

عُدِّي الاستعجال في ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٧٣) إلى ضمير الجلالة المحذوف ؛ لأنهم في الحقيقة كانوا يستعجلون الله تعالى بوعيده ؛لإظهار أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مخبر عن الله تعالى توبيخاً لهم وإنذاراً بالوعيد، وهم إنما كانوا يستعجلون النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالعذاب استهزاء ، وحُذِفت ياء المتكلم تخفيفا(٧٤) .

وتعدية الفعل (نسوّي) إلى ضمير الخطاب الموجه إلى الأصنام في قوله سبحانه : ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) ، في سياق اختصام المشركين مع المعبودات في الآخرة ، فيعترفون بضلالهم المبين بمساواتهم المعبودات بربّ العالمين ، وفيه مبالغة في التوبيخ والتنديم(٧٦).

التخصيص باللام :

زاد الله سبحانه في تقريع المشركين وتبكيتهم وتوبيخهم بالتخصيص باللام في قوله : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٧٧) ، أي : لأجلكم خاصة وأنتم تكفرون به وتنسبون ما تفرد به من ذلك لغيره(٧٨).

و في تقريع اليهود في قوله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٧٩) بتركهم الحُكمَ الإِلَهِيَّ بِحُكمِ الهوَى وَالجَهْلِ الموجب للميل والمداهنة في الأحكام فيكون ذلك تعييراً لليهود ، وغاية التبكيت لهم والتقبيح عليهم بأنهم مع كونهم أهلَ كتاب وعلمٍ يبغون حكمَ الجاهلية التي هي هوى وجهلٌ ، لا يصدُر عن كتاب ولا يرجِعُ إلى وحي(٨٠).

التخصيص بالإضافة:

فإضافة (أخت) إلى (هارون) في : ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيا﴾ (٨١) يحتمل أن يكون على حقيقته ، فيكون لمريم أخ اسمه هارون كان صالحاً في قومه ، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ ، أي: ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك (٨٢).

وإضافة (العذاب) إلى (الهون) في ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ (٨٣، أي : الهوان ؛ لتمكنه فيه ؛ لأنّ التنكيل قد يكون على سبيل الزجر والتأديب ، ولا هوان فيه وقد يكون على سبيل الهوان ، وقيل : إن هذا في وقت الإماتة والعذاب ما عذبوا به من شدة النزع ، أو الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ ، وقيل : إن هذا في القيامة أو خطابهم في النار(٨٤).

وزاد سبحانه في تبكيت اليهود في ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (٨٥) بإضافتهم إلى (الكتاب) بقوله: (أهل الكتاب) إشارة إلى أن العالم ينبغي له أن يكون أبعد الناس من التمويه فضلاً عن الكذب الصريح (٨٦).

التخصيص بالظرف :

التخصيص بالظرف (اليوم) المتعلق بـ(حديد) في ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٨٧) تعريض بالتوبيخ ؛ فقوة اليقين المشبهة بقوة البصر اليوم ليست كقوتها في الدنيا ، فيقال للكافر غداً : (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)، أي : ها أنت عَلِمْتَ ما كنتَ فيه من التكذيب فاليوم لا يسمع منك خطاب، ولا يرفع

عنك عذاب (٨٨)، ومثله (اليوم) في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٨٩).

التخصيص بالملابسة:

مثاله التوبيخ والتنديم بـ(ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٠) فتخصيص (الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره ، وفيه تنديم لهم لا يخفى أي الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة (ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) ، أي : حال كونهم مستمرين على الشرك الذي هو ظلم منهم لأنفسهم ، وأيّ ظلم حيث عرضوها للعذاب المقيم) (٩١).

والجملة الحالية (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) في ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٢) ومعناه : (وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد ، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال ، والإصابة في التدابير ، والدهاء والفطنة... ومفعول (تَعْلَمُونَ) متروك كأنه قيل : وأنتم من أهل العلم والمعرفة . والتوبيخ فيه آكد ، أي أنتم العرّافون المميزون . ثم إنّ ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أنداداً ، هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل) (٩٣).

ونحوه (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتاب) في ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٩٤) فزاد في تبكيتهم بالجملة الحالية الحاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم عليه(٩٥).

التخصيص بالوصف:

وُبِّخ اليهود في ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ

يَلْعَبُونَ﴾ (٩٦) على جعلهم الكتاب في قراطيس موصوفة بـ(تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً) ، فالجملة المعطوفة والمعطوف عليها في موضع الصفة لقراطيس، والعائد على الموصوف من المعطوفة محذوف ، أي : كثيرا منها (٩٧) .

وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ * وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٩٨) تحقير وتوبيخ للمخاطبين بكفرهم بوصفه ذاته تعالى بـ(غَنِيّ) ؛ لتحقيرهم وتعظيمه لكماله المطلق ، و(حميد) لتوبيخهم ؛ لأنها صفة تستوجب المحامد(٩٩) .

والتعبير بـ(قومه) في ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (١٠٠) إشارة إلى تبكيتهم بكونهم أهل قوة وإنعامه ـ سبحانه ـ عليهم بالكفاية في الأكل والشرب ، ولم يتأسوا بموسى (عليه السلام) في الصبر إلى أنْ يأتي الله الذي أمرهم بهذا المسير بالفرج(١٠١).

التدرّج :

كشف الله أمر استهزاء المنافقين بقولهم: (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) في ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(١٠٢)، وأردفه بإظهار قلّة جدوى اعتذارهم عن كفرهم بعد إظهار الإيمان، فقوله سبحانه (لا تعتذروا) من جملة القول الذي أمر الرسول أن يقوله ، وهو ارتقاء في توبيخهم ؛ إذ تلبّسوا بما هو أشدّ وهو الكفر ، فلذلك قطعت الجملة عن التي قبلها ، فالجمل الواقعة في سياق التوبيخ تقطع ولا تعطف لأنّ التوبيخ يقتضي التعْداد ، فالمعنى لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنّكم قد عُرفتم بما هو أعظم وأشنع(١٠٣).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

و (بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) إلى (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبا جَما) في قوله سبحانه : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبا جَما ﴾ (١٠٤) انتقال وترقٍّ من ذمه بالقبيح من القول إلى الأقبح من الفعل ، والالتفات إلى الخطاب لتشديد التقريع وتأكيد التشنيع(١٠٥).

التَّعداد:

وبّخ الله سبحانه اليهود في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (١٠٦) ، بتعديده ما أظهره سبحانه على يد عيسى (عليه السلام) من النعم والآيات العظام وتكذيبهم إياه ونسبته إلى السحر (١٠٧).

وكان تعداد قبائح مرتكبات قوم لوط في ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٠٨) أشدّ تقريعا و(أنكأ لتمييز أفئدتهم كان مظنة تهيج واشتعال لسيء أخلاقهم وقبيح جوابهم فجاوبوا جواب من استحكم حنقه وطبع على قلبه فقالوا: (ائتنا بعذاب الله) تحكيما وتحقيقا لتكذيبهم وشاهدا بتصميمهم على المعاندة والكفر) (١٠٩).

التفصيل بعد الإجمال :

من ذلك تفصيل (الأنعام) في قوله سبحانه : ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ منه أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١١٠) مَسوقٌ لتوضيح حالِ الأنعام بتفصيلها أولاً إلى حمولةٍ وفرْشٍ ،ثم بتفصيلها إلى ثمانية أزواجٍ حاصلةٍ من تفصيل الأولى إلى الإبل والبقر، وتفصيلِ الثاني إلى الضأن والمَعَز ، ثم تفصيلِ كلٍّ من الأقسام الأربعة إلى الذكر والأنثى ؛ لتحرير الموادِّ التي تقوّلوا فيها عليه سبحانه وتعالى ، وإنما فصّل المجمل ؛ لأنّه أشدّ في التوبيخ من أنْ يكون دفعة واحدة(١١١) .

إرخاء العنان :

ففي أمر المشركين في قوله سبحانه : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٢) ، مساهلةٌ وإرخاءُ العِنان واستدراجٌ إلى غاية التبكيت ، كأنه قيل : تركنا إلزامَكم بشهداءَ لا ميلَ لهم إلى أحدِ الجانبين كما هو المعتاد ، واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذبّ عنكم ، فإنهم أيضاً لا يشهدون لكم حذراً من اللائمة وأَنَفةً من الشهادة البيِّنة البُطلان(١١٣) .

وقد أمر الله نبيّه في ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١٤) أن يجيبهم بما فيه تبكيتهم واستهزاء بالمنافقين على طريقة إرخاء العِنان لهم في ظنّهم أنّ الذين قتلوا من إخوانهم قد ذهبوا سُدًى ، فقيل لهم : إنّ الموت لا مفرّ منه على كل حال(١١٥).

و إرخاء العنان مع المجرمين في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٦) ليعثروا ؛ إذ يراد تبكيتهم وإفحامهم، وهو من مخادعات الأقوال والتصرفات الحسنة؛ إذ يُسمعه الحقّ على وجه لا يغضبه ، فلم يقل : عمّا تجرمون ؛ احترازا عن التصريح بنسبة الجرم إليهم ، و اكتفاء بالتعريض في قوله تعالى:

عما أجرمنا، لئلا يلبسوا جلد النمر، وليتفكروا في حالهم وحال مخالفيهم، فيدركوا بالتأمل ما هو الحقّ منهما (١١٧).

التعريض:

يُخرج الكلام بالإبهام على أُسْلُوبِ الْمُجَامَلَةِ في الكلام والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكار ، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١١٨) وهو يعلم أنه على الهدى وأنهم على الضلال لكنه أخرج الكلام مخرج الشكّ في اللفظ دون الحقيقة تقاضيا ومسامحة وحسما للعناد ؛ إذ لا شكّ عنده ولا ارتياب ، على سبيل التوبيخ ، والتعريض بأنَّهم هم المبطلون ، كما يقول القائل لمن خالفه في مسألة : أحدنا يخطئ ، أي تثبّت وتنبّه ، والمفهوم من كلامك أنْ مخالفك هو المخطئ (١١٩) .

ونسبَ إبراهيم (عليه السلام) الفعل إلى كبيرهم ،في قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (١٢٠) ، وقَصْدُه تقريره لنفسه وإسناده لها ، على سبيل التعريض؛ تبكيتًا لهم على عبادتهم الأصنام ، وإلزامًا للحجة عليهم ، فلم يكن قصده أن ينسب الفعل الصادر منه إلى الصنم حقيقة بل قصده إثبات الفعل لنفسه ؛ ليحصل غرضه من التبكيت ، وهو في ذلك مثبت معترف لنفسه بالفعل ،وليس هذا من الكذب في شيء(١٢١).

الهدم :

الهدم أن يأتي أحد بكلام يتضمن معنى فتأتي بضده فإنك قد هدمت ما بناه ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (١٢٢)هدمه بقوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ (١٢٣) ، وبقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) ، وبقوله: ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ (١٢٥)، و تقديره : إن كنتم صادقين في دعواكم .

ومنه ﴿وَقَالَتِ اليهود عُزَيْرٌ ابن الله﴾ (١٢٦) ، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّه﴾ (١٢٧)هدمه بقوله : ﴿ذلك قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ (١٢٨) ، وقوله : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ (١٢٩).

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ المنافقون قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله ﴾ (١٣٠) هدمه(١٣١) بقوله:﴿ واللَّه يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾(١٣٢) .

الاستطراد:

قرينة معنوية يُقصد بها خروج المتكلم من كلامه إلى آخر ؛ لمناسبة بينهما ، ثم عودته وإتمامه كلامه الأوّل(١٣٣) ، فقد أنبأنا الله سبحانه بكتمان بعض أهل الكتاب الحقّ وإخفائه في قوله : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٤) ثم استطرد فاتبع ذلك بصفتي الشكر والعلم ترغيباً وترهيباً بأنه يشكر من فعل ما شرعه له، ويعلم من أخفاه ، وإنْ دقّ فعله وبالغ في كتمانه ، ثم انعطف الكلام في﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٣٥) إلى تبكيت المنافقين منهم والمصارحين في لعنهم ؛ لكتمانهم الحقّ ، فهذه كلّها في الحقيقة قصصهم والخروج إلى غيرها إنما هو استطراد(١٣٦).

وفي جملة (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) في قوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (١٣٧) إيماءٌ بأنّ إنجاء من معه (عليه السلام) كان ببركة شكره ، وحثّ للذرية على الاقتداء به، وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفر سبيل الاستطراد(١٣٨) .

وجملة (مَا اخْتَلَفَ) في ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣٩) عطف على جملة (أنزل معهم الكتاب بالحق) ، والمعنى : وما اختلف فيه إلا أهل الكتاب ، فاستغنى بجملة

القصر عن الجملة الأخرى لتضمن جملة القصر إثباتاً ونفياً ، فإرسال الرسل لإبطال الاختلاف بين الحق والباطل ، ثم أحدث أتباع الرسل بعدهم اختلافاً آخر ،وهو اختلاف كل قوم في شريعتهم ، وهذا تعريض بأهل الكتاب فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف فيها ، واستطراد بديع في توبيخهم (١٤٠).

التذييل:

الهمزةُ في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤١) للتقريع والتقرير، وقوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ ﴾ تفويضُ تبكيتهم إلى الرسول (عليه السلام) ، فإنّ توبيخَ الفاعل على الفعل إذا كان ممن نهاه عنه كان أشدَّ تأثيراً، وجملة(إِنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تذييلٌ لتقرير التوبيخ (١٤٢).

والتذييل بـ (وَكَانَ الله سَمِيعاً بَصِيراً) في قوله سبحانه : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٤٣) لمعنى التوبيخ ، أي: كيف يرائي المرائي وأنّ الله تعالى سميع بما يهجس في خاطره وما تأمر به دواعيه بصير بأحواله كلها ظاهرها وباطنها فيجازيه على ذلك (١٤٤).

تأكيد الذمّ بما يُشبه المدح :

في قوله تعالى : ﴿وَما نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ﴾ (١٤٥) تعيير لَهُمْ ؛لأنّ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ) قَدِمَ عَلَى أهل المدينة وهم محتاجونَ، فأَثْرَوا من الغنائم، فقال: وَمَا نَقَمُوا إلا الغِنى ، أي : وما أنكروا شيئاً من الأشياء إلا إغناءَ الله تعالى إياهم ، على سبيل تأكيد الذمّ بما يشبه المدح(١٤٦).

الإخبار :

من أفانين الإعجاز في الاستعمال القرآني تنوع التعبير بالأساليب الخبرية و الانزياحات غير المألوفة عن فائدة الخبر، ولزوم الفائدة إلى دلالات وإيحاءات أُخَر يقتضيها المقام ويتلمسّها المتلقّي بمعونة القرائن ، والتوبيخ واحد من تلك المعاني.

من ذلك التوبيخ والتقريع في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ (١٤٧) ، فآمنتم به (على الإخبار؛ أي : فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخًا لهم وتقريعًا، وإنما أفاد الخبر التقريع والتوبيخ ؛ لأنه أخبر به من هو عالم بفائدته توبيخا وتقريعا (١٤٨).

وَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ (استكبرت) في ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (١٤٩) إِخْبَارًا خَاطَبَهُ بِذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ، وَأَمْ تَكُونُ مُنْقَطِعَةً، وَالْمَعْنَى: بَلْ أَنْتَ مِنَ الْعَالِينَ عِنْدَ نَفْسِكَ اسْتِخْفَافًا بِهِ(١٥٠).

و أخبر الله سبحانه عن الكفار بقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٥١) على سبيل التقريع والتوبيخ بأنهم يعرفون نعمة الله ويقرّون أنها من عنده ثم ينكرونها ويكفرون به تعالى ، وجعل ذلك إنكاراً على سبيل المجاز ، إذ لم يرتبوا على معرفة نعمه تعالى مقتضاها من عبادته ، وإفراده بالعبادة دون ما نسبوا إليه من الشركاء(١٥٢).

الحذف:

الجزاء (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (١٥٣) جزاء لشرط محذوف تبكيتا لهم ، والمعنى : إن صدّقتكم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم ، فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (١٥٤).

وإضمار القول في ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (١٥٥) معطوف على (فيقول) ، أي: فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً : ألم تؤخّروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك بألسنتكم بطراً وأشراً وجهلاً وسفهاً (١٥٦).

ومنه حذف مفعول(تنفقوا) في قولِه تعالَى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١٥٧) فقد وبّخهم سبحانه على (تركِ الإنفاقِ المأمورِ به بعدَ توبيخِهم على تركِ الإيمانِ بإنكار أنْ يكونَ لهم في ذلكَ أيضاً عذرٌ من الأعذارِ . وحذفُ المفعولِ لظهورِ أنَّه الذي بُيِّنَ حالُه فيما سبقَ وتعيينُ المُنفَقِ فيهِ لتشديدِ التوبيخِ ، أيْ وأيُّ شيءٍ لكُم في أنْ لا تنفقُوا فيمَا هُو قربةٌ إلى الله تعالَى ما هُو له في الحقيقةِ وإنَّما أنتُم خلفاؤُه في صرفِه إلى ما عيَّنهُ من المصارفِ .) (١٥٨).

وفي قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (١٥٩) الخبر محذوف، أي : كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضرّ ولا تنفع، ودلّ على هذا المحذوف، قوله (وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ) ، فحذف الخبر مبالغة في الإنكار عليهم تسويتهم من هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بمن ليس مثله(١٦٠) ، وتشديد التوبيخ لهم .

التجدد والإثبات والحذف :

في إثبات الجارّ (من) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(١٦١) . تبكيت عظيم لبني إسرائيل وترهيبهم فإنهم من أعظم المقصودين بذلك؛ لكتمانهم ما عندهم .

ولما كان المضارع دالاً على التجدد المستمر وكان الإصرار المتصل بالموت دالاً على سوء الجبلة ، حُذفت الفاء السببية إشارة إلى استحقاقهم للخزي في الأمر نفسه

من غير نظر إلى سبب فقال: (أولئك) أي البعداء البغضاء (يلعنهم الله) ، أي: يطردهم الملك الأعظم طرد خزي وذلّ، (ويلعنهم اللاعنون)، أي :كلّ من يصحّ منه لعن(١٦٢).

الجملة الماضوية :

فقوله تعالى: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) في ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (١٦٣) فيه نوع من التوبيخ لهم على تصريحهم برغبتهم فيهنّ وعدم صبرهم عنهنّ (١٦٤) .

التحقيق والتقليل :

منه مجيء (إذا) الدالّة على المعاني المحقّقة ، والتقليل المُسْتَفَاد من لفظ (المسّ) وتنكير (الضرّ) في سياق التوبيخ والتخويف في قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٦٥) ، فالتحقيق والتقليل المفيدان (في المقام التوبيخي القصد على اليسير من الضرّ وعلى الناس المستحقين أنْ يلحقهم كلّ ضرر وللتنبيه على أنّ مساس قدر يسير من الضرّ لأمثال هؤلاء حقه أنْ يكون في حكم المقطوع به) (١٦٦) .

الجملة التكثيرية :

مثاله (كم) في قوله : ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٦٧) التي تحتمل الخبرية والاستفهام التقريري ، فالخبرية على إرادة التحقيق والتثبيت ، فالتقريع هنا إنما هو على جحودهم

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

الحقّ ، فكأنه قيل: سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ عن طغيانهم وجحودهم للحق بعد وضوحه فقد آتيناهم آيات كثيرة بينة (١٦٨).

و (كَأَيِّنْ) في قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٦٩) كلام مبتدأ سيق توبيخا لمن فرّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد ؛ إذ لم يستنوا بسنن الأمم الماضية فقد قُتل لهم أنبياء لهم كثيرون ومعهم الكثير من الرِبِّيِّين فصبروا ، ولم يلحقهم ما لحقكم من الانخذال ، ولا ثناهم عن القتال فجعهم بقتل أنبيائهم ، أو قتل ربيبهم ، بل مضوا قدماً في نصرة دينهم صابرين على ما حل بهم ، وأنتم أولى بذلك ؛ إذ أنتم خير الأمم ، ونبيكم خير الأنبياء(١٧٠).

الجملة الاعتراضية:

منه فصل المتعاطفين بالجملة المعترضة(نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) في قوله : ﴿ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ (١٧١) على سبيل التقريع لهم والتوبيخ ؛ إذ لم يستندوا في تحريمهم إلا إلى الكذب البحت والافتراء ، أَيْ : إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في نسبة ذلك التحريم إلى الله ، فأخبروني عن الله بعلم لا بافتراء ولا بتخرص وأنتم لا علم لكم بذلك إذ لم يأتكم بذلك وحي من الله تعالى ، فلا يمكن منكم تنبئة بذلك(١٧٢) .

الاستئناف:

قوله (ذوقوا) في ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ * ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١٧٣)

على إضمار القول من الملائكة ، أي : ويقولون لهم (ذوقوا عذاب الحريق) ، وهو كلام مستأنف من الله على سبيل التقريع للكافرين، أما في الدنيا حالة الموت ، أي : مقدّمة عذاب النار ، وأما في الآخرة(١٧٤).

وجملة (قالُوا يامَرْيَم) في ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًا﴾ (١٧٥) مستأنفة استئنافاً بيانياً ، قالها قومها توبيخاً لمريم (عليها السلام) (١٧٦).

ولما أثبت الله سبحانه بقوله:﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (١٧٧) أنّ معبودات المشركين في حيّز العدم ، استأنف تبكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير ، فقال: ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٨)،أي : تحقير مني(١٧٩).

وجملة (مَا سَبَقَكُمْ) في قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٠) مستأنفة استئنافاً نحوياً لتأكيد النكير وتشديد التقريع والتوبيخ ، ويجوز أن يكون استئنافا بيانياً ،كأنه قيل : لم لا نأتيها؟ فقال : ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا إليه من المنكرات لأنّه أشدّ ، وكيفما كان فالمراد من نفي سبق أحد بها إياهم كونهم سابقين بها كلّ أحد ممن عداهم من العالمين لا مساواتهم الغير بها (١٨١) .

النفي ، كتعيير المنافقين في قوله: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٢) ، حين استأذنوا في القُعود عن الجهاد من غير عُذْر، فجعل سبحانه علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان وعَذَر الله المؤمنين(١٨٣)، فقال:﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ (١٨٤).

وتعليق كينونة الإيمان (خيراً لهم) في ﴿وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٨٥) على تقدير حصوله توبيخاً لهم مقروناً بنصحه تعالى لهم : أنْ لو آمنوا لنجوا أنفسهم من عذاب الله (١٨٦) .

وقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٨٧) موبّخًا الذين تخلفوا عن النبي (صلى الله عليه وسلم)في غزوة تبوك ، فنفر المؤمنون واعتذر المنافقون بأعذار كاذبة، فتخلفوا عن الخروج ، ولم يتّبعوه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (١٨٨).

ومنه المبالغة في جواب عيسى (عليه السلام) بالنفي بقوله :(إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) في ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (١٨٩) فهو مبالغة في الأدب ، وإظهار الذلة ، وتفويض الأمر كله إلى رب العزة ، ومبادرة إلى تبكيت من ادّعاه له ، فقال دالاً على أنه لم يقنع بما تضمن أعظم المدح لأنّ المقام للخضوع : (إن كنت قلته) ، أي : مطلقاً للناس أو حدثت به نفسي (فقد علمته) (١٩٠).

والنفي المتضمن بـ (لولا) وضمير الخطاب المنفصل، فلما كان مقاماً استوى فيه المرؤوس والرئيس، قال الأتباع لرؤسائهم على جهة التذنيب والتوبيخ ورد اللائمة عليهم : ﴿ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩١)، أي: أنتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر، فأتى بضمير الرفع المنفصل بعد (لولا) (١٩٢).

التأكيد :

التّأكيد بإنّ واللاّم في ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴾ (١٩٣) كناية عن التّوبيخ ؛لأنّه مبني على تنزيلهم منزلة من ينكر ذلك لكونهم مسترسلين عليه غير سامعين لنهي النّاهي ، والإتيان كناية عن عمل الفاحشة(١٩٤).

وأما قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٩٥) فقد أعيدت (لا) النافية بعد واو العطف على النفي،

الجديد و طبع NEW & EXCLUSIVE

وكان العطف مغنياً عنها، فإعادتها لإِفادة تأكيد نفي المساواة ، ومقام التوبيخ يقتضي الإِطناب ، ولذلك تُعدّ (لا) في مثله زائدة(١٩٦) .

والتأكيد بـ (ألا إنهم) في ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٩٧) أقعد في تبكيت الكفار المعاندين(١٩٨).

وتقديم الخبر (فيكم) في قوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾ (١٩٩) لإفادة الاهتمام ، وهو توبيخ لمن يكذب للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، ولا يصدر ذلك إلا ممّن هو شاكّ في الرسالة ، لأنّ الله تعالى لا يترك نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فإنه يطلعه على ذلك ، فلا تخبروه بما لا يصحّ(٢٠٠) .

وتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (٢٠١) ؛ لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المشركين(٢٠٢) .

اسم التفضيل والحذف :

فقوله سبحانه : (فأولى لهم) في ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (٢٠٣) ، و(أولى لك) في ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ (٢٠٤) هو دعاء عليهم بأن يليهم ما يكرهون ، فاستُعمل (أولى) على جهة الحذف والاختصار لما معه من القول، فتقول على سبيل الزجر والتوعد: أولى لك يا فلان، أي : فويل لهم ، وويل لك (٢٠٥).

العدول عن الجواب :

لمّا ذُكر طلب الذين ظلموا من ربهم بقولهم : (رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ) في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا

أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (٢٠٦) تعيّن أنّ الكلام الواقع بعده يتضمّن الجواب عن طلبهم ، فهو بتقدير قول محذوف ، أي: يقال لهم ، وقد عُدل عن الجواب بالإجابة أو الرفض إلى التقرير والتوبيخ بقوله : (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ)؛ لأنّ ذلك يستلزم رفض ما سألوه .

والعطف بالواو تنبيه على معطوف عليه مقدر هو رفض ما سألوه ، حُذف إيجازاً ؛ لأنّ شأن مستحق التوبيخ أنْ لا يعطى سؤله ، والتقدير: كلا وألَم تكونوا أقسمتم(٢٠٧).

التشبيه :

لمّا شبّه الله سبحانه الكفّار بالبهائم في ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٠٨) زاد في تبكيتهم ؛ لأنّهم صاروا بمنزلة الصمّ ، فكأنهم لم يسمعوا ، وبمنزلة البكم في أنْ لا يستجيبوا لِما دُعوا إليه ، وبمنزلة العُمي ، فصاروا كأنّهم لم يشاهدوا الدلائل ، أمّا قوله : (فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فالمراد العقل الاكتسابي ؛ لأنّ العقل المطبوع كان حاصلا لهم ، فالعقل عقلان: مطبوع ومسموع (٢٠٩).

وقوله سبحانه : (كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) في ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ الناس كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ (٢١٠) مسوق مساق التوبيخ لهم لمّا رغبوا تأخير الجهاد خوفا من بأس المشركين ، فالتشبيه جار على طريقة المبالغة لأنّ حمل هذا الكلام على ظاهر الإخبار لا يلائم حالَهم من فضيلة الإيمان والهجرة (٢١١) .

التمثيل :

يصار إليه لكشف المعنى المراد وإيحاءاته ، ورؤية المتخيل في صورة المُحقَّق، ، ويستدعي المناسبة بين المتمثل له و المتمثل به ، فلمّا جاء سبحانه بحقيقة صفة

الجديد و طرائف NEW & EXCLUSIVE

المنافقين أعقبها بضرب المثل في قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢١٢) مبالغة في إبراز خبيات المعاني ، وفيه تبكيت للخصم الألد، و قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا(٢١٣).

والمثل الذي ضربه الله في قوله سبحانه : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾(٢١٤) لقصة داود (عليه السلام)؛ للدلالة على طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب، و جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح؛ لأنها أبلغ في التوبيخ ، فإنّ التأمل إذا أدّاه إلى الشعور بالمعرَّض به ، كان أوقع في نفسه ، وأدعى إلى التنبه على الخطأ فيه من أنْ يبادره به صريحاً(٢١٥) .

الالتفات:

من ذلك صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب في قوله سبحانه : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٢١٦)على سبيل الالتفات مبالغة في تبكيتهم، ، و العدول من الغيبة إلى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والإنكار البليغ(٢١٧).

الجديد و الحصري NEW & EXCLUSIVE

وخوطب اليهود بـ (أفلا تعقلون) في ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢١٨)، على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ ليكون أوقع في توجبه التوبيخ إليهم مواجهة(٢١٩).

ولمّا أراد توبيخ اليهود و النصارى أخبر عنهم بقوله : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٢٢٠) ، بالحضور فقال : (لَقَدْ جِئْتُمْ) ، فعدل عن الغيبة إلى الخطاب ؛ لأنّ توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له(٢٢١).

ويقال للكفار المعذبين: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (٢٢٢) في الدنيا بالمعاصي والكفر ، والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ لأن ذم المرء في وجهه تشهير له، ولذا قيل: النصح بين الملأ تقريع (٢٢٣).

وعدوله عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الضمير إلى الظاهر في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (٢٢٤) مبالغة (في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أنّ الاشتراك فيه مقتض أنْ لا يصدّق مؤمنٌ على أخيه ولا مؤمنة على أختها قولَ غائب ولا طاعن) (٢٢٥) .

وعدل في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٢٢٦) عن أسلوب خطاب المشركين بأن يقال لهم : هل ننبئكم بأنكم الأخسرون أعمالاً ، إلى أسلوب الغيبة ، فيكون التوبيخ تعريضيا، بحيث يستشرفون إلى معرفة هؤلاء الأخسرين ، فما يروعهم إلاّ أن يعلموا أنّ المخبر عنهم هم أنفسهم ، توبيخاً لهم وتنبيهاً على ما غفلوا عنه من خيبة سعيهم(٢٢٧).

وفي قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا

كَخَلْقِه فتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ (٢٢٨) انْتَقَلَ مِنْ خِطَابِهِمْ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ غَائِبًا إِعْرَاضًا عَنْهُمْ وَتَنْبِيهًا عَلَى تَوْبِيخِهِمْ فِي جَعْلِهِم شُرَكَاءَ لِلَّهِ، وَتَعْجِيبًا مِنْهُمْ، وَإِنْكَارًا عَلَيْهِمْ(٢٢٩).

التكرار :

ففي تكرير تفصيل هذه الآيات بـ(إذ) في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٣٠) تبكيت لمن أخرج المؤمنين ومنعهم من البيت ، و تنبيه على توبيخهم بترك دين الخليل (عليه السلام) ، و اتّباع من لا يعلم(٢٣١).

وتكرار النداء في قوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (٢٣٢) إيقاظ لهم عن سنة الغفلة واهتمام بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه(٢٣٣).

وتكرار الاستفهام الإنكاري التوبيخي (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) في سورة (الرحمن) إحدى وثلاثين مرة في الآيات : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، تبكيت من أنكر آلاءه ، كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها له(٢٣٤).

وتكرار (لكم) في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٢٣٥) زيادة التقريع (٢٣٦).

التخييل :

فالعهد في قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢٣٧) مطلوب يُطلب من المعاهد أنْ لا يضيعه ويفي به ، ويجوز أن يراد أنّ صاحب العهد كان مسؤولاً، ويحتمل أنْ يكون تخييلا ، كأنه يقال للعهد : لم نكثت؟ وهلا وفي بك؟ تبكيتاً للناكث ، كما يقال للموؤدة : بأي ذنب قتلت؟(٢٣٨).

اللف :

تكرّر التّوبيخ على سبيل اللف في (جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) والمقابلة في (لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) في قوله تعالى : ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣٩) إيذانا بأنْ لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به ، كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده الزمخشري(٢٤٠) ، ومجيء (الليل والنهار في صدر الكلام، ثم قابلهما في عجز الكلام بضدين، وهما السكون والحركة على الترتيب... وعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة، والآية سيقت للاعتداد بالنعم... ألا تراه سبحانه جعل العلّة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان، حيث قال: (لتسكنوا ولتبتغوا) بلام التعليل، فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن البيان، وحسن النسق، فلذلك جاء الكلام متلائماً آخذا أعناق بعضه بأعناق بعض) (٢٤١).

لام العاقبة:

فتقدير قوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٢٤٢) عند الفراء : لئلا تقولوا ، وأن تجعل اللام المقدرة للعاقبة،

أي: ترتب على إنزالنا أحد القولين ترتب الغاية على الفعل ، فيكون توبيخا لهم على بعدهم عن السعادة(٢٤٣).

واستعيرت لام التعليل في قوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٢٤٤) و﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ (٢٤٥) وقوله :﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٢٤٦) إلى معنى العاقبة في سياق التوبيخ﴾ (٢٤٧) .

التعليل :

فقوله تعالى: (وإذ تُدْعَوْن) للكفرة في الآخرة في ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (٢٤٨) تعليل لمقت الله ، أي : لغضب الله – تعالى – فكأنه قيل : لمقت الله تعالى أنفسكم أكبر من مقتكم إياها ؛ لأنكم دعيتم مرة بعد مرة إلى الإيمان فتكرر منكم الكفر، فالعلة في إصرارهم على الكفر مع تكرر دعائهم إلى الإيمان ، والمعنى لمقت الله تعالى أنفسكم في الدنيا ؛ إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشدّ من مقتكم إياها اليوم وأنتم في النار، أو وأنتم متحققون إنكم من أصحابها، وقيل لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً وتنديما على ما فاتهم من الإيمان والثواب(٢٤٩).

و(أَنَّ) في قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٥٠) تعليل ، فيحتمل هنا تقدير لام التعليل ، أي : لأنّ الناس ، أو الباء السببية ، وهو تعليل منه سبحانه لتشنيعها عليهم بهذا الكلام ، والمراد بإخبارها إياهم بذلك التوبيخ و التنديم على ما فاتهم من الإيقان بما قرب وقوعه، وظهور بطلان ما اعتقدوه فيه، ومؤاخذتهم على التكذيب به أشدّ مؤاخذة(٢٥١).

براعة الاستهلال :

منه إيثار (الرحمن) في افتتاح سورة (الرَّحْمَنُ) فقال سبحانه : ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (٢٥٢) ؛ لأنّ المشركين يأبون ذكره ، ولأنّ معظم هذه السورة تعداد للنعم في سياق الامتنان والتوقيف على الحقائق والتبكيت للخصم في إنكاره ، فافتتاحها باسم (الرَّحْمَنُ) براعة استهلال، ففصل جملتي (خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) عن جملة (عَلَّمَ الْقُرْآنَ) خلاف مقتضى الظاهر؛ لنكتة التعديد للتبكيت .

وعطف عليها أربعة أُخر بحرف العطف من (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) إلى (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ)، وكلها دالة على إرادة الله تعليمهم أن الاسم الذي استنكروه هو اسم الله ، وأنّ المُسمّى واحد.

وافتتاح السورة بالتباب في ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢٥٣) مشعر بأنها نزلت للتوبيخ والوعيد ، فذلك براعة استهلال ، مثل افتتاح أشعار الهجاء بما يؤذن بالذمّ (٢٥٤)، ومنه قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (٢٥٥).

الاستدعاء :

وقف الله سبحانه بقوله : ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٢٥٦) المسلمين الذين كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر ، فلما رأوه يوم أحد أعرض كثير منهم عنه وانهزموا ، على تمنيهم ومعاهدتهم وأنهم رأوا ذلك الذي تمنوا فقال : (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) على سبيل التوبيخ، كأنه قال: وأنتم حسباء أنفسكم، فتأملوا قبيح فعلكم ،وفيه ضرب جميل من الإبقاء والصون والاستدعاء، و المعنى : وأنتم تتأملون الحال في ذلك وتفكرون فيها كيف هي؟ (٢٥٧).

القصة :

من ذلك إرادة الله سبحانه بقصة إبليس في ﴿قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٥٨) تقريع أشباهه من بني آدم ، وهم اليهود الذين كفروا بمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، مع علمهم بنبوته ، ومع تقدّم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم .

فمعنى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) في علم الله تعالى أنّ إبليس سيكفر ، لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم الله منه الموافاة(٢٥٩).

وسأل اليهود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن ثلاثة أشياء بتحريض من قريش ، وهي الروح ، و أهل الكهف ، وعن الخضر (عليه السلام) فأجابهم عن الروح ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٦٠) ، وابتدأ جوابه عن أهل الكهف بقوله :﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا ٢٦١ثم بسطت الآي قصتهم ، ثم ذكر سبحانه أمر ذي القرنين وطوافه وانتهاء أمره ، فقال تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ (٢٦٢).

وقد فصلت بين القصتين بمواعظ وآيات ، ومن جملتها قصة الرجلين وجنتي أحدهما وحسن الجنتين وما بينهما وكفر صاحبهما واغتراره في﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (٢٦٣)، وهما من بني إسرائيل ، وركونه إلى توهم البقاء ، وتعويل صاحبه على ما عند ربه ورجوعه إليه وانتهاء أمره إلى إزالة ما تخيل المفتون بقاءه ، ورجع ذلك كأن لم يكن ، ولم يبق بيده إلا الندم ، ثم عقب تلك الآيات بقصة موسى والخضر (عليهما السلام) بقوله : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٢٦٤) إلى تمامها ، وفي كلّ ذلك من تأديب بني إسرائيل وتقريعهم وتوبيخهم في توقفهم عن الإيمان ، وتعنيفهم في توهمهم عند فتواهم لكفار قريش بسؤاله –عليه السلام – عن القصص الثلاث أنْ قد حازوا العلم وانفردوا بالوقوف على ما لا يعلمه غيرهم(٢٦٥).

الحوار :

فقوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ * قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ ﴾ (٢٦٦) خطاب للملائكة وتقريع للكفار، على سبيل المثل السائر: إيّاك أعني واسمعي يا جارة ، ونحوه قوله تعالى : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٢٦٧)، والله سبحانه عالم أنّ الملائكة وعيسى منزهون برآء مما وجه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشدّ، وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم (٢٦٨) .

ومن ذلك محاورة أخوين من بني إسرائيل في ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (٢٦٩) ورثا مالا فصنع أحدهما بماله ما ذكر واشترى عبيداً وتزوج وأثرى؛ وأنفق الآخر ماله في طاعات الله (عزّ وجلّ) حتى افتقر ، والتقيا ففخر الغني ووبّخ المؤمنَ ، فجرت بينهما هذه المحاورة ، وقوله : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ) حكاية أنّ المؤمن من الرجلين لمّا سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفره بالله تعالى(٢٧٠).

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

العطف:

(ثُمَّ) في قوله سبحانه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢٧١) للاستبعاد أو لحقيقة التراخي فيكون توبيخاً ليهود بني إسرائيل بالارتداد بعد الانقياد مدة مديدة ووضوح الحجج وهو أشنع من العصيان من الأول(٢٧٢).

والتوبيخ بـ (ثمّ الذين كفروا بربِّهم يعدِلُونَ) و(ثمّ أنتم تمتَرُونَ) في قوله سبحانه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (٢٧٣) على سوء الفعل بعد مهلة من وضوح الحجج (٢٧٤) وجيء بالمسند إليه ضميراً منفصلا مبالغة في التوبيخ .

و(ثم) في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (٢٧٥) للاستبعاد في الوقوع لا للتراخي في الزمان ؛ لأنه الواقع في نفس الأمر، فجيء بها هنا لإفادة تراخي مضمون الجملة المعطوفة في تصوّر المتكلّم عن تصور مضمون الجملة المعطوف عليها ، فتدلّ على أنّ الجملة المعطوفة لم يكن يُترقب حصول مضمونها حتى فاجأ المتكلم ، خطابٌ خاصٌّ بالحاضرين من بني قريظة وبني النظير فيه توبيخ شديدٌ واستبعادٌ قويٌّ لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادةِ عليه ، الأزهري الكشاف المحرر ابي السعود الالوسي ويبدو لنا أن (ثم) ووضعها في هذا السياق المخصوص احتملت معنى التنبيه والتوكيد والاستبعاد والمفاجاة والتعجب والذمّ والتوبيخ الشديد للمخاطَبين، ويؤيد هذا قوله تعالى : ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ﴾ (٢٧٦)، و ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ﴾ (٢٧٧)، و﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ (٢٧٨).

وعطف (كلوا) في قوله : ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (٢٧٩) بالواو، أما في قوله : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ (٢٨٠) فقد عطف بالفاء ؛ لأن التعقيب معنى زائد على مطلق الجمع الذي تفيده واو العطف ، فاقتصر هنا على حكاية أنه قيل لهم ، أمّا آية البقرة فأولى بحكاية ما دلّت عليه فاء التعقيب ؛ لأن آية البقرة سيقت مساق التوبيخ فناسبها ما هو أدل على المنة ، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية ، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل(٢٨١) .

و(أو) في ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٢٨٢) للتخيير في نصرة آلهتهم لهم ودفع العذاب عنهم أو نصرة آلهتهم نفسها و دفع العذاب عنها عندما يلقى بالأصنام في النار بمرأى من عبدتها وهذا كلّه توبيخ على إشراكهم (٢٨٣) .

وعطف (سعى) بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨٤) ، أي: بتعطيلها عن ذكر الله لبعد وجوه ظلمهم زيادة في تبكيتهم(٢٨٥).

الفاء الفصيحة والمطاوعة:

بيّن الله سبحانه في قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (٢٨٦) سرعة امتثال موسى عليه السلام وسرعة تأثير ضربه بحذف (فضربه)، وصيغة المطاوعة في: (فانبجست) ، أي : فانشقت وظهرت ونبعت، وذلك كاف في تعنيفهم وذمهم على كفرهم بعد المن به، وهذا

السياق الذي هو لبيان إسراعهم في المروق هو لا ينافي أن يكون على وجه الانفجار، ويكون التعنيف حينئذ أشدّ (٢٨٧).

المفاجأة :

خوطب الكفار المعاندون بقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٨) على سبيل التوبيخ والتقريع لإنكارهم البعث واستعجالهم بيوم البعث استهزاء ،فالفاء الفصيحة تفيد معنى المفاجأة والسبب واقعة في جواب شرط محذوف ، أي : إن كنتم منكرين للبعث؛ فهذا يومه.

ووبّخهم الله بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ (٢٨٩)، أي : إن قلتم هؤلاء آلهتنا فقد كذبوكم ، والمعنى : فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة في قولكم : هؤلاء أضلونا ، بطريق المفاجأة والاحتجاج من الله سبحانه على العبدة وإلزامهم ؛ مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم .

وأفصحت الفاء في قوله : (فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) عن محذوف ما بعدها علة له ، والتقدير : لا تعتذروا فقد جاءكم ، فتختلف عبارة المقدر قبل الفاء هذه ، فتارة يكون أمراً أو نهياً ، وتارة يكون شرطاً(٢٩٠).

الإضراب :

فالهمزة في (أفلم) في قوله سبحانه : ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٢٩١) لإنكار الواقعِ ، فقد وُبِّخوا بعدمِ التَّدبرِ ، و (أم) في قولـه تعالـى : (أَمْ جَاءهُمْ) منقطعة ، و فيها معنى (بل) للإضراب والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر ، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع ، أي : بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه ، فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال ، و(أم) في (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا) إضراب انتقالي من توبيخ إلى توبيخ آخر ،عطفا على التوبيخ المنتقل منه ، والهمزة لإنكار الوقوع أيضاً ، أي: بل ألم يعرفوه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالأمانة والصدق فوبِّخوا على عدم معرفتهم به. و(أم) في(أَمْ يَقُولُونَ) انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لإنكار الواقع كالأولى، أي : بل أيقولون به جنة مع أنه أرجح الناس عقلاً ، و(أم) في (أَمْ تَسْئَلُهُمْ) إضراب وانتقال إلى توبيخ آخر، كأنه قال : أم يزعمون أنك تسألهم عن أداء الرسالة جُعلاً ، فيتهمونك ، أو يثقل عليهم فلذلك لا يؤمنون(٢٩٢) والهمزة لإنكار الواقع .

و(أم) في ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ * أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٢٩٣)،منقطعة وفيها معنى الإضراب والانتقال من بيان جهلهم بحفظه تعالى ، أو إعراضهم عن ذكره ، إلى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم ، والهمزةُ لإنكار أنْ يكون لهم آلهةٌ تقدر على ذلك ،والمعنى : بل ألهم آلهةٌ تمنعهم من العذاب تتجاوز منْعنا أو حفظَنا ، أو من عذاب كائنٍ من عندنا فهم معوّلون عليها واثقون بحفظها؟(٢٩٤)

و(أم) في خطابه سبحانه اليهود والنصارى الذين انتحلوا الأنبياء ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية بقوله : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٢٩٥) منقطعة ، تتضمن معنى بل وهمزة الاستفهام الدالة على الإنكار ، والتقدير : بل أكنتم شهداء؟ فمعنى الإضراب : الانتقال من شيء إلى شيء ، لا أن ذلك إبطال لما قبله ، ومعنى الاستفهام هنا : التقريع والتوبيخ ، وهو في معنى النفي ، أي ما كنتم شهداء ، فكيف تنسبون إليه ما لا تعلمون؟ ولا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم ،

وقيل : أم هنا بمعنى : بل ، والمعنى بل كنتم ، أي كان أسلافكم ، أو تنزلهم منزلة أسلافهم ، إذ كان أسلافهم قد نقلوا ذلك إليهم ، وفي إثبات ذلك إنكار عليهم ما نسبوه إلى يعقوب من اليهودية ، وقال ابن عطية : قال لهم على جهة التقرير والتوبيخ أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى ، فتدّعون عن علم ، أي لم تشهدوا ، بل أنتم تفترون(٢٩٦).

الزجر والإضراب:

فكلمة (كلّا) في قوله سبحانه : ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ * لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢٩٧) ردع وإبطال ، يحتمل أنْ يكون إبطالاً لما سبق من قوله : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢٩٨) إلى قوله : ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ (٢٩٩)، فأعيد (كَلّا) تأكيداً لنظيره ووصلاً للكلام بإعادة آخر كلمة منه،والمعنى : أن مَزَاعِمَهُم باطلة .

وقوله : (بل تحبون العاجلة) إضراب إبطالي يُفصِّل ما أجمله الردع بـ (كلّا) من إبطال ما قبلها وتكذيبِه ، أي لا معاذير لهم في نفس الأمر، ولكنهم أحبوا شهوات الدنيا وتركوا الآخرة ، فالتوبيخ هنا بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة(٣٠٠).

و(كَلاّ) في ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ (٣٠١) ردع عما هو غرور بالله والشرك به ، و (بل تكذبون بالدين) إضراب انتقالي من التوبيخ والزجر على الكفر إلى ذكر التكذيب بالبعث والجزاء ويشمله التوبيخ بالزجر؛ لأنه معطوف على توبيخ وزجر(٣٠٢).

الزجر وضمير الشأن :

منه ردع وتبكيت المشركين في ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣٠٣) قال الزمخشري : (فإنْ قلت : ما معنى قوله : (أَرُونِيَ) وكان يراهم ويعرفهم؟ قلت : أراد بذلك أنْ يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله ، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به . و (كَلاَّ) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة ... وقد نبه على تفاحش غلطهم وإن لم يقدروا حق الله قدره بقوله : (هُوَ الله العزيز الحكيم) كأنه قال : أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده . أو ضمير الشأن) (٣٠٤) .

الأساليب الإنشائية :

التصرف في بنية التراكيب ووضعها في أنساق مخصوصة يمنح المتكلم القدرة على التفنن في أساليب التعبير ؛ و رسم المشهد الدلالي في النصّ القرآني؛ لكسر تتابع الأنساق ، و إنتاج بنىً دلالية إيحائية خاصة لم تكن له من قبل مع احتفاظه بمعناه الطلبي ؛ لإحداث الأثر المطلوب في نفس المتلقي ، ونتلمس هذه الدلالات والإيحاءات بمعونة القرائن السياقية.

الأمر:

خاطب الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المشركين في ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٣٠٥) تحقيرا لهم ولآلهتهم (وهيَّجهم على مباشرة مبادئ المُضارّة وحثّهم على التصدّي لأسباب المُعازّة والمعارّة فلم يقدروا على مباشرة شيءٍ مما كلفوه وظهر عجزُهم عن ذلك ظهوراً بيناً كيف لا وقد التجأ إلى ركن منيعٍ رفيعٍ واعتصم بحبل متينٍ) (٣٠٦) ، و(كيدوني) هنا للإباحة كناية عن تعجيزهم وتقريعهم .

ومنه التحدي بالأمر على سبيل الحكاية بقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣٠٧)، أي : فأتوا بسورة من أصغر السور ، أو آيات شتى مفتريات ،وهذا غاية التبكيت والتعجيز، ومنتهى إظهار بطلان مقالتهم الفاسدة(٣٠٨) .

وأمره سبحانه للنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ﴾ (٣٠٩) بأن يناصبهم المحاجة ويكرر عليهم التبكيت بعد أن بين شركاءهم لا يقدرون على شيء أصلاً أبي السعود ، فقد أمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك ، أي: لا مبالاة بكم ولا بشركائكم فاصنعوا ما تشاؤون وهو أمر تعجيز أي لا يمكن أن يقع منكم دعاء لأصنامكم ولا كيد لي وكانوا قد خوّفوه آلهتهم (٣١٠)، و ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ

الجديد و طريف NEW & EXCLUSIVE

أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ (٣١١)، وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم﴾ (٣١٢).

التنبيه ، **و** فيه معنى الأمر ، ومن أدواته (ها) (٣١٣)، وغالبا ما تدخل هذه على اسم الإشارة (ذا) ، وقد يُفصَل بينها وبين اسم الإشارة بفاصل كالضمير المرفوع المنفصل أو القسم ، ويؤتى بهذا التركيب في سياق شكّ المخاطب ، ويستفاد التنبيه على معنى التعجب والتوبيخ من السياق الدالّ على الحال المقتضية لذلك الإخبار ، ففي قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ﴾ (٣١٤) توبيخ شديد بأنّ منافقي اليهود في باطلهم أصلب منكم في حقكم ، أي : لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله ، وهم مع ذلك يبغضونكم ، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم ، وكرر هاء التنبيه تأكيداً(٣١٥).

والخطاب بقوله سبحانه : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣١٦) للمتعصبين في قصة السارق طعمة بن أبيرق ، ويندرج فيه مَن عمل عملهم ، مؤذن بأنّ تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع ، وجملةُ (أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ) مبتدأٌ وخبرٌ وقوله تعالى : (جادلتم عَنْهُمْ فِى الحياة الدنيا) جملةٌ مبيِّنةٌ لوقوع (أولاءِ) خبراً ، وقيل: هؤلاء منادى ، ويجوز أن يكون (أولاءِ) اسماً موصولاً بمعنى الذين و(جادلتم) صلة له ، والمجادَلَةُ أشدُّ المخاصَمَة(٣١٧).

وفي (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) تبكيت للمؤمنين على هذه الأحوال الموجبة لبغض المؤمنين لمنافقي اليهود واطراحهم إياهم ، وتنبيه إلى طول رقادهم أو شدة عنادهم ، وقد كرر هاء التنبيه توكيدا ، والمعنى : أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم فيما لكُم به عِلمٌ، وقيل : هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلتُه ، وذُهِب إلى أنّ الهاء في (ها أنتم) بدل من همزة الاستفهام المراد به التعجب ، والأصل :أأنتم(٣١٨) .

وجيء بـ (ألا) في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٣١٩) المراد بها التنبيه ، و(إنّ) ، وضمير الفصل (هم) ، ولام القصر ؛ لبيان أنّ المنافقين (الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب ، حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة) (٣٢٠).

الدعاء :

مثاله (ويل) و أصله الدعاء بالهلاك ، وقد اُستعمل في الزجر والردع في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ (٣٢١) والحثّ على ترك ما لا يرتضى(٣٢٢) ، قال سيبويه : (وأمَّا قوله تعالى جدُّه : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٢٣) و ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (٣٢٤) فإنّه لا ينبغى أن تقول إنّه دعاءٌ ههنا، لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ " به " قبيحٌ، ولكنّ العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون، فكأنَّه واللهُ أعلمُ قيل لهم: (وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)، و(وَيْلُ يَوْمَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ) ، أي هؤلاءِ ممن وجب هذا القولُ لهم، لأنَّ هذا الكلامَ إنّما يقال لصاحب الشرّ و الهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشرّ والهلكة ووجَبَ لهم هذا) (٣٢٥) .

وكلّ (ويل) ورد في القرآن الكريم يحتمل الدعاء المشوب بالوعيد والتعجب والذمّ والتوبيخ والزجر؛ إذ فيه حثّ المقصود بالخطاب على ترك ما هو عليه ، إلا ما كان مسبوقا بـ (يا) النداء فيحتمل التحسر والتفجع والتوبيخ والتنديم والذمّ .

وفعل الأمر في ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٢٦) معناه عند الطبري الدّعاء، فقد أذن الله لنبيه أن يدعو عليهم بهلاكهم كمدا مما بهم من الغيظ على المؤمنين لمّا يئس من إيمانهم الطبري. فعلى هذا يتجه أن يدعى عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة ، وقال آخرون : بل أمر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأمته أن يواجهوهم بهذا ؛ فعلى هذا زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة(٣٢٧) .

وهو عند آخرين (ليس بأمر جازم ، لأنه لو كان أمراً لماتوا من فورهم كما جاء فقال لهم الله : موتوا . وليس بدعاء ، لأنه لو أمره بالدعاء لماتوا جميعهم على هذه الصفة ، فإن دعوته لا ترد . وقد آمن منهم بعد هذه الآية كثير ، وليس بخبر لأنه لو كان خبر الوقع على حكم ما أخبر به يعني ولم يؤمن أحد بعد ، وإنما هو أمر معناه التوبيخ والتقريع) (٣٢٨)، ويبدو لنا أنه دعاء بصيغة الأمر خرج إلى التقريع والتوبيخ والذم والإغاظة .

النهي :

في قوله: ﴿ وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَ لا تَشْتَرُوا بِئَايَتى ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ (٣٢٩) تبكيت اليهود وأمر جليل من تعنيفهم ؛ لأنّ المراد من (أول) ليس ظاهر معناه المتبادر إلى الذهن ، بل المبالغة في السبق ، فالمعنى: أنك إنْ فعلت ذلك لم تكن صفتك إلا كذلك، فهو خارج مخرج المبالغة في الذم بما هو صفة المنهي فلا مفهوم له، وعبر به تنبيهاً على أنهم لما تركوا إتباع هذا الكتاب كانوا لما عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة، فكان عملهم في كفرهم وإن تأخر(٣٣٠).

النداء:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٣٣١) فنادوه بأداة البعد (قالوا) بدلا من (نادوا)؛ للدلالة على حضوره وبعده من قلوبهم ، والتعبير بهذا توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم وغيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر ، ويقرّون برسالته عند الحاجة إلى دعائه في كشف ما عذبهم ربهم به ، وذلك قادح فيما يدعون من الثبات والشجاعة والعقل والإنصاف والشهامة(٣٣٢).

وافتتاح قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٣٣٣) بالنّداء لقصد التوبيخ أو

الملام والتّنبيه ، كقوله تعالى: ﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببيّنة ﴾ (٣٣٤). وقرينة التّوبيخ هنا أظهر ، وهي قولهم : (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) فإنّه تعريض بخيبة رجائهم فيه فهو تعنيف(٣٣٥) .

ونداء الكفرة في قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٣٣٦) لهلَكتهم التي هلكوها من بين الهلَكات مستدْعين لها ليهلِكوا ، أي يا ويلتَنا احضُري فهذا أوانُ حضورِك ، فقالوا : يا ويلتنا ، ونداؤها على تشبيهها بشخص يُطلب إقباله ، كأنه قيل: يا هلاك أقبل فهذا أوانك ، ففيه استعارة مكنية تخييلية ، وفيه تقريع لهم وإشارة إلى أنه لا صاحب لهم غير الهلاك وقد طلبوه ليهلكوا ولا يروا العذاب الأليم ، والمعنى يَا عَجبُ أقبل، فإنه من أوقاتك، وإنما نَداءُ العَجَبِ تنبيه لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله(٣٣٧).

فنداء ما لا يعقل هنا إنما يراد به التنبيه بتعجّب الكفرة من أفعالهم وتندمهم على ما جنوه على أنفسهم في الآخرة ، وتنبيه من كان على شاكلتهم في الدنيا وتوبيخهم بتعجيبهم من مآل من سبقوهم ، وكذا قوله تعالى : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٣٨) ، ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ (٣٣٩) ، ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٣٤٠) .

الاستفهام الإنكاري :

وهو إما إنكار إبطالي تكذيبي ، وهو في الماضي بمعنى (لم يكن) كقوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٣٤١)، والمُنكَر غير الواقع يجب أن يلي همزة الاستفهام ، لكن الإصفاء هنا ليس هو المنكر ،إنما المنكر قولهم : إن اتخذ من الملائكة إناثاً ؛ لأن لفظ الإصفاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم، أو بأنّ المراد مجموع الجملتين، وينحل منهما كلام واحد، والتقدير: أجمع بين الإصفاء بالبنين واتخاذ البنات ،فالاستفهام هنا إنكاري إبطالي تكذيبي ومدّعيه

كاذب ؛ لأنّ ما بعد الهمزة غير واقع ،أي : لم يفعل ذلك ، وفي الحاضر والمستقبل بمعنى (لا يكون) ، نحو ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(٣٤٢)، أَيْ: لَا يَكُونُ هَذَا الْإِلْزَامِ ، فالاستفهام هنا يراد به الإنكار على المخاطب، وتكذيبه فيما زعم، فيراد منه النفي وقد أُشْرَبُ هنا معنى التوبيخ والتقريع.

وإما إنكار توبيخي ويقع في أمر واقع كان يجب ألا يقع ، ووُبِّخ على فعله ، نحو: أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، ويقع على ترك فعل كان ينبغي أن يقع ، كقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ (٣٤٣).

فهو إنكاري توبيخي أو حقيقي، فما بعد الهمزة واقع جَدِيرٌ بِأَنْ يُنْفَى ، ولكنّ فاعله ملوم موبَّخ ، فالنفي هنا غير قصدي، والإثبات قصدي ، فهم فعلوا هذه الأشياء، ويستحقون التقريع والتعيير، وَلَا تَدْخُلُ هَمْزَةُ التَّوْبِيخِ إِلَّا عَلَى فِعْلٍ قَبِيحٍ أَوْ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ فِعْلٌ قَبِيحٌ (٣٤٤)، ومعنى النهي فيه أبلغ من النهي الصريح فضلا عن معنى التقريع والتعجب والتشنيع والتهديد والترهيب.

الاستفهام التقريري:

ويُقصد به حمل المخاطب على الإقرار بما يُسأَلُ عنه نفياً أو إثباتاً ، لأي غرض من الأغراض التي يراد لها التقرير، كالتوبيخ واللوم ونحو ذلك.

وقد يكون الاستفهام للتقرير؛ وهو حمل المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنده، و (هل) تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ ، نحو قَوْلِهِ: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (٣٤٥) وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي وقد دخل على النفي ، ونفي النفي إثبات ، ومن أمثلته: ﴿أَلَيسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٣٤٦)﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (٣٤٧) وَجَعَلَ مِنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ(٣٤٨)﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٤٩).

ومنه ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ (٣٥٠)، فقراءة عامة القرّاء (أَذْهَبْتُم) بغير

همزة الاستفهام ، أما أبو جعفر القارئ فقد قرأه بالاستفهام(٣٥١)، والعرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فيه، فتقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت وفعلت (٣٥٢)، وقال ابن عطية : (والتقرير والتوبيخ إخبار بالمعنى ، ولذلك حسنت الفاء وإلا فهي لا تحسن في جواب على حد هذه مع الاستفهام المحض .)،وكرر أبو حيان ذلك بقوله: (وهذا الاستفهام هو على معنى التوبيخ والتقرير ، فهو خبر في المعنى ، فلذلك حسنت الفاء ، ولو كان استفهاماً محضاً لم تدخل الفاء) (٣٥٣)، ويبدو لنا أنه في معنى الخبر هنا لأنه توبيخ و تنديم في سياق الحديث عن حساب الكفرة في الآخرة ، و فيه معنى التنبيه واستدعاء المتلقي في الدنيا لتجنب ما كان السبب في مآل الكفرة إلى جهنم .

وعُلّق التوبيخ في قوله : ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٥٤) بإسنادهم إليه سبحانه ما يعلمون عدم وقوعَه للمبالغة في التوبيخ والنكير ؛ فإنّ التوبيخَ على الأدنى مستلزمٌ للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأَوْلى ، وأمْ إما متصلةٌ والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت ، فكأنه قيل : أم لم تتخذوه بل تتقوّلون عليه تعالى ، وإما منقطعةٌ والاستفهام لإنكار الاتخاذِ ونفيِه وفيها معنى الإضرابُ والانتقالُ من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهدِ إلى ما تفيد همزتُها من التوبيخ على التقوُّل على الله سبحانه (٣٥٥).

الاستفهام وجوابه :

منه سؤال الملائكة أو المسلمين للمجرمين في قوله : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ (٣٥٦) فأجابوهم بقولهم : ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣٥٧)، فيسألونهم وهم عالمون بذلك توبيخا لهم وتحسيراً ، وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين(٣٥٨) ، واستدعاء لهم إلى تجنب ما كان سببا في سوء عذاب هؤلاء المجرمين في الآخرة .

وتساءل الزمخشري عن معنى سؤال الموؤدة في ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٣٥٩)عن ذنبها الذي قتلت به؛ وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ ثم يجيب بأنّ سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها ، ونحوه التبكيت في قوله تعالى لعيسى : ﴿ وَإِذْ قَالَ الله ياعيسى ابن مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذوني وَأُمِّيَ إلهين مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ (٣٦٠) فسؤاله وجوابه تبكيت لمَنِ ادَّعى هذا عليه(٣٦١).

وفي السؤال وجوابه في ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا ﴾ (٣٦٢) توبيخ يزداد به الكفرة عذاباً إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم(٣٦٣) .

ووُبِّخ الكفرة في ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى﴾ (٣٦٤)بالكفر بعد التبليغ لأنه أبعد عن الاعتذار وأحق بالتوبيخ والإنكار(٣٦٥)، على سبيل التمثيل والتخييل بسؤالهم وإجابتهم .

الموازنة :

منه الموازنة في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ (٣٦٦)، أي: أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا وحاصلا أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم، ومعنى التفاضل بين النزلين التوبيخ والتهكم وهو أسلوب كثير الورود في القرآن، والحمل على المشاركة جائز، وعلى الثاني الظاهر انتصابه على الحال، والمعنى أنّ الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير حال كونه نزلا؟ (٣٦٧).

ومثله قوله : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (٣٦٨) وقوله ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزبر﴾ (٣٦٩) والاستفهام فيهما إنكاري في معنى النفي فكأنه قيل : ما هم خير من قوم تبع في القوة والمنعة ،

وما كفاركم خير من أولئكم في القوة والغنى وما أقل عنادا في كفرهم(٣٧٠)، على سبيل التوبيخ ؛ إذ لا خيرية دنيوية في المُفَاضَلَينِ في كلا النصين .

التعجيب بالاستفهام :

الاستفهام في قوله : ﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ﴾ (٣٧١) تبكيت للمشركين بالتعجيب منهم على عدم الإذعان لذلك(٣٧٢).

والاستفهام بقوله: ﴿ فأنى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٧٣) إنكاريٌّ بمعنى إنكارِ الواقعِ واستبعادِهِ والتعجيبِ منه مبالغة في تبكيت المشركين، أي : فكيف تصرفون عن الحق إلى الضلال ولعل ذلك الإنكار والتعجب متوجهان في الحقيقة إلى منشأ الصرف وإلا فنفس الصرف منه تعالى على ما هو الحق فلا معنى لإنكاره والتعجب منه مع كونه فعله جل شأنه(٣٧٤) .

وتوبيخ الكفرة في ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٧٥) على إنهماكهم في الغفلة أو الجهل، على سبيل التعجيب من هذه الحال التي تأبى أن لا يكون للعاقل علم بالصانع، وعلمه به يجعله يأبى أن يكفر، وصدور الفعل مع الصارف القوي مظنة تعجب ، ونظيره(٣٧٦) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٧٧)

النصح والإرشاد :

تلطف حبيب النجار في الإرشاد في﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٧٨) ، بإيراده مورد إمحاض النصح لنفسه ، إذ أراد لهم ما أراد لها ؛ تقريعا لهم على تركهم عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ولذلك قال : (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) مبالغة في التهديد، ثم عاد إلى السياق الأول (٣٧٩) فقال :﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ* إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٨٠).

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

التحضيض :

لا تخلو أدوات التحضيض سواء وليها الفعل الماضي أم المضارع من معنى التوبيخ واللوم على مَا كَانَ يجب أَن يَفْعَله الْمُخَاطب قبل أَن يُطْلب مِنْهُ ، فجميعها تتضمن معنى النفي [٣٨١]، قال الرضي: (اعلم أن معناها إذا دخلت في الماضي: التوبيخ واللوم على ترك الفعل، ومعناها في المضارع: الحض على الفعل والطلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر،ولا يكون التحضيض في الماضي الذي قد فات، إلا أنها تستعمل كثيرا في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئا، يمكنه تداركه في المستقبل، فكأنها من حيث المعنى، للتحضيض على فعل مثل ما فات، وقلما تستعمل في المضارع، أيضا، إلا في موضع التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه) [٣٨٢] .

فـ(لولا) في قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [٣٨٣] للتوبيخ [٣٨٤] الذي يقتضي هنا عدم الوقوع ، فقد تضمن نفي إيمان أهل القرية.

و(لَوْلا) في ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [٣٨٥] للتحضيض، وهي داخلة هنا على الماضي، فتفيد التوبيخ والتنديم على ترك الفعل فيما مضى، والأمر به في المستقبل[٣٨٦].

ومعنى (لولا) في الجملة المضارعية التحضيض ، وهو طلب بحثّ وإزعاج ، ولا تخلو من معنى التوبيخ ، وفي الجملة الماضوية يكون التوبيخ على ترك الفعل أشدّ ؛ فتكون جملة التحضيض هنا بقوة جملتين مضارعيتين .

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٣٨٧] على سبيل

التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم، فالتحضيض بالأداة والفعل المضارع لَا يَخْلُو من ضرب من التوبيخ واللوم(٣٨٨).

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٨٩) تحضيض في ضمنه توبيخ لهم ؛ إذ تركوا اللازم، وأجمع العلماء على أنّ ما في القرآن آية أشدّ توبيخا للعلماء من هذه الآية ، ولا أخوف عليهم منها(٣٩٠).

اعتقاب القرائن :

القرائن بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال ما دامت غير متحققة بقرينة ما في سياق ما ، وقد يبقى الاحتمال قائما وإنْ دخل في علاقات سياقية(٣٩١) ، و تتناوب القرائن ؛ لتحقيق الربط بين المعنى المنقول عنه والمعنى المنقول إليه ، لعلاقة جامعة بينهما ، فينتقل ذهن المتلقي من أحدهما إلى الآخر ، و السياق اللغوي العام والبيئة المحيطة بذلك السياق يحددان المعنى وظلاله التي لم تكن له من قبل ، إلا أنه يبقى يحمل شيئا من معناه في أصل الوضع .

القرائن المعنوية :

ويقصد بها العلاقات السياقية بين عناصر التركيب ؛ للدلالة على المراد مع منع غيره من الدخول فيه، بالتضافر مع القرائن اللفظية والمقامية ، فيستدلّ بها عن طريق العقل ؛ لتحديد المعنى النحوي الخاصّ(٣٩٢) .

١- إجراء المضاف إليه مجرى المفعول به :

منه إضافة (اللقاء) إلى (اليوم) في ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٩٣) ؛ توسعاً في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة اللقاء إليه : أي لقاء جزاء الله على أعمالكم ، ولم تخطروه على بال بعد ما ذكرتم به وتقدم إليكم بوقوعه ، وإنما لم يجعل من إضافة المصدر إلى المفعول به حقيقة ؛ لأن التوبيخ ليس على نسيان لقاء اليوم نفسه بل نسيان ما فيه من الجزاء، فالليل والنهار لا يمكران، ولكن المكر فيهما(٣٩٤) .

٢- إطلاق اسم المُسبَّب على السبب:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٩٥) إخبار بأن رؤساء اليهود وعلماءهم كتموا صفة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم – الثابتة في كتبهم ، لئلا تذهب برياستهم ، وهو إخبار في كل من كتم العلم لأجل ذلك ؟ ، فقوله سبحانه : (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلا النَّارَ) ؟ ، أي : يأكلون ما عاقبته النار ، وجعل المأكول النار ، تسمية له بما يؤول إليه ، لأنه سبب النار .

والفعل (يأكلون) مستعار لأخذ الرُّشَا المعبر عنها بالثمن ، والظاهر أنه مستعمل في زمان الحال ، أي ما يأكلون وقت كتمانهم واشترائهم إلاّ النارَ لأنه الأصل في المضارع .

والأكل مستعار للانتفاع مع الإخفاء ؛ لأنّ الأكل انتفاع بالطعام وتغييب له فهو خفي لا يَظهر كحال الرشوة ، ولمّا لم يكن لآكل الرشوة على كتمان الأحكام أكْلُ نار تعين أنّ في الكلام مجازاً ، فقيل : هو مجاز عقلي في تعلق الأكل بالنار وليست هي له وإنما له سببها ،أي : الرشوة ، ، وقيل هو مجاز في الطَّرَف بأن أطلق لفظ النار على الرشوة إطْلاقاً للاسم على سببه. ومثله(٣٩٦):﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (٣٩٧)، أي يأكلون ما عاقبته النار، مبالغة في الذمّ والزجر.

٣- تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه :

استحضر الله سبحانه بقوله : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٣٩٨) صورة حديثهم في الإفك و تفظيعها ، وأصل (تَلَقَّوْنَهُ) تتلقونه بتاءين حذفت إحداهما ، والتلقي التكلف للقاء الغير ، وفي قوله :

(بألسنتكم) استعارة مكنية فجعلت الألسن آلة للتلقي على طريقة تخييلية بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيدي في تناول الشيء ؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجازاً بعلاقة تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، وفيه تعريض بحرصهم على تلقّي هذا الخبر فهم حين يتلقّونه يبادرون بالإخبار به بلا تروّ ولا تريّث ، والمعنى : أنّ الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ، فيترجم عنه اللسان ، وهذا الإفك ليس إلاّ قولاً يجري على ألسنتكم ، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب ، وهذا تعريض بالتوبيخ أيضاً (٣٩٩).

٤- سوق المعلوم مساق غيره :

ويُقصد به إخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر ، إذ ينزل الشيء منزلة غيره، فمن ذلك تنزيل العالم بالحكم، أو بلازمه منزلة الجاهل بهما لعدم جريه على مقتضى علمه، فإنّ من لا يعمل بمقتضى علمه هو والجاهل سواء ، فيمزج الشكّ باليقين؛ لأنه يُخرج ما يعرف صحّته مخرج ما يشكّ فيه ، وَمن نُكْتَة التجاهل الْمُبَالغَة فِي الْمَدْح أَو الذَّم أَو التَّعْظِيم أَو التحقير أَو التوبيخ أَو التقريع أو التعجب أو التقرير أو التوكيد أو التدله بالحب .

والاستفهام في قوله : ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزبر﴾ (٤٠٠) يجوز أن يكون على حقيقته ، أو يكون من سوْقَ المعلوم مساق غيره .

ونحوه قوله : ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لعلى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤٠١) وقد علموا أنهم على هدى، وأولئك على ضلال لكن جاء على سبيل الإبهام استهزاء وتوبيخا.

ومنه قوله تعالى لعيسى (عليه السلام) : ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذوني وَأُمِّيَ إلهين مِن دُونِ الله﴾ (٤٠٢)؛ فإنّ السؤال هنا لم يكن للتشبيه ، وإنما هو توبيخ لمن ادّعى فيه ذلك(٤٠٣).

القرائن اللفظية:

صور شكلية تعين المتلقي على تحليل أجزاء السلسلة الكلامية ومستواها التركيبي العام ، ولها الأثر الكبير في الكشف عن دلالات نحو النصّ .

١- إيقاع الاسم موقع المصدر :

الباطل في ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٠٤) اسم لضدّ الحقّ ، فالإخبار به كالإخبار بالمصدر يفيد مبالغة في بطلانه ؛ لأنّ السياق سياق التوبيخ والمبالغة في الإنكار. والمعنى : وباطلاً ، أيّ باطل كانوا يعملون ، وأن تكون بمعنى المصدر على : وبطل بطلاناً ما كانوا يعملون . وقيل : الباطل المضمحلُّ بالكلية وهو أبلغ من حمله على الخلاف ، وبطل عملهم اضمحلاله بحيث لا ينتفع به وإن كان مقصوداً به التقرّب إلى الله تعالى ، وقيل : البطلان عدم الشَّيءِ إمَّا بعدم ذاته ، وإما بعدم فائدته ومقصوده (٤٠٥).

٢- وضع الفعل الماضي موضع المضارع :

كأن تتابع الجملتين الماضويتين لفظا والمستقبليتين معنى (شاء) و(جعل) في ﴿تبارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِك جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾ (٤٠٦) لزيادة تبكيت الكفار فيما اقترحوا ، أي : تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ في الدنيا خَيْراً مِنْ ذَلِكَ الذي اقترحوا ، وأفضل من الكنز والبستان الذي ذكروا ، وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور (٤٠٧).

٣- إيقاع الفعل المضارع موقع الفعل الماضي :

منه مجيء الفعل (تكفرون) في ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤٠٨) بصيغة المضارع و(لَمْ يَأْتِ بِهِ مَاضِيًا وَإِنْ كَانَ الْكُفْرُ قَدْ وَقَعَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّ الَّذِي أُنْكِرَ أَوْ تُعُجِّبَ مِنْهُ الدَّوَامُ عَلَى ذَلِكَ، وَالْمُضَارِعُ هُوَ الْمُشْعِرُ بِهِ وَلِئَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ تَوْبِيخًا لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ الْكُفْرُ ثُمَّ آمَنَ) (٤٠٩).

و(يُكَذِّبُ) في قوله تعالى: ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤١٠) فعدل عن الماضي لما ذكر للدلالة على استمرار ذلك وبيان لوجه توبيخهم وعلته(٤١١).

٤- التضمين :

منه تضمين (تشتروا) معنى (تستبدلوا) في قوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٤١٢) ، فالاشتراء هنا مجاز يراد به الاستبدال ؛ لاختصاصه بالأعيان ، إما باستعمال المقيد في المطلق، أو تشبيه الاستبدال المذكور في كونه مرغوبا فيه بالاشتراء الحقيقي ؛ لذا جاز أن تدخل الباء على الآيات ، وإن كان القياس أن تدخل على ما كان ثمناً ، لأن الثمن في البيع حقيقته أن يشترى به ، لكن لما دخل الكلام على معنى الاستبدال جاز ذلك ، لأن معنى الاستبدال يكون المنصوب فيه هو الحاصل ، وما دخلت عليه الباء هو الزائل.

و التعبير عن ذلك بـ(الثمن) مع كونه مشترى لا مشترى به ؛ للدلالة على كونه كالثمن في الاسترذال والامتهان، ففيه تقريع وتجهيل قوي ؛ فقُلِب المعنى فصار المقصود آلة والآلة مقصودة ، إذ جُعِل المشترى ثمنا بإطلاق الثمن عليه، ثم جُعِل الثمن مشترى بإيقاعه بدلا لما جُعِل ثمنا بإدخال الباء عليه.

فاستعير الاشتراء هنا لاستبدال شيء آخر، ووجه المشابهة بين الإعراض و الاشتراء أن إعراضهم عن الآيات لأجل المنافع الدنيوية يشبه استبدال المشتري في أنه يعطي ما لا حاجة له به ويأخذ ما إليه احتياجه وله فيه منفعته ، ففي (تشتروا) استعارة تحقيقية في الفعل(٤١٣).

٥- إيثار الجملة التقليلية :

وردت (ربّ) في ﴿رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤١٤) ومعناها : معنى كم وأبلغ منه ، ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين ، والتقليل هنا مستعمل في التهكم والتخويف ، أي احذروا

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

وَدادتكم أن تكونوا مسلمين ، والإتيان بأداة التقليل على هذا بأنه وارد على مذهب العرب في قولهم : لعلك ستندم على فعلك ، وهم لا يشكون في تندمه ، وإنما يريدون أنه لو كان الندم مشكوكاً فيه لكان حقاً عليك أن تفعل ما قد تندم على التفريط فيه لكي لا تندم وفيه مبالغة بالكناية الإيمائية(٤١٥).

والعرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيرا، ومنه ﴿ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (٤١٦)، والمقصود منه توبيخهم على أذاهم لموسى (عليه السلام) على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم .

وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك ، فالزمخشري يرى أنه تنبيه بالأدنى على الأعلى، ومنهم من يرى أنّ المقصود في ذلك الإيذان بأنّ المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد أنْ يرجع إلى الضد ، وذلك شأن كلّ ما بلغ نهايته أنْ يعود إلى عكسه(٤١٧).

٦- إخراج اليقين مخرج الشكّ:

تقام (إن) مقام (إذا) في سياق التجاهل ؛ لاستدعاء المقام إياه، وكعدم جزم المخاطب، كقولك لمن يكذبك فيما تخبر: إن صدقت فقل لي ماذا تفعل، وكتنزيله منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجب العلم ، كما تقول لمن يؤذي أباه: إنْ كان أباك فلا تؤذه ، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ (٤١٨) فيمن قرأ : (أنْ) بكسر الهمزة ؛ لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الإسراف، وتصوير أنّ الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء حقيق أنْ لا يكون ثبوته له إلا على مجرد الفرض.

ومجيء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ (٤١٩) بـ (إنْ) يحتمل أن يكون للتوبيخ على الريبة لاشتمال السياق على ما يزيحها عن أصلها ، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإنما ينكر عنادًا(٤٢٠، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ (٤٢١).

وعبّر سبحانه بأداة الشك (إنْ) في قوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٢٢) مع أن الشرط هنا محقق الوقوع ؛ فقد قال سبحانه :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (٤٢٣)؛ لتنزيل المحقّق منزلة المستبعد وكأنه ليس واقعاً على طريقة قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ (٤٢٤) ويفيد ذلك توبيخاً بطريق الكناية (٤٢٥).

٧- إخراج المحال مخرج الشك:

المحال في هذا المقام ينزل منزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل المساهلة، وإرخاء العنان ؛ لقصد التبكيت، نحو قوله : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (٤٢٦)، أنه من باب التبكيت؛ لأن دين الحق واحد لا يوجد له مثل، فجيء بكلمة الشك على سبيل الفرض، والتقدير، أي : إن حصلوا دينا آخر مساوياً لدينكم في الصحة والسداد فقد اهتدوا، وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (٤٢٧)، أي: إن كان حقا فعاقبنا على إنكاره، والمرد نفي حقيقته، وتعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه باطل تعليق بالمحال، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٤٢٨)، فجعل سبحانه ما كان مقطوعا بعدم وقوعه بمنزلة ما لا قطع بعدمه على سبيل المساهلة وإرخاء العنان قصد المبالغة في التبكيت(٤٢٩).

٨- إخراج النفي مخرج الشك :

مجيء الشرط بـ(إنْ) الدالة على الشكّ في قوله تعالى :﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٤٣٠) توبيخ لقريش ، فالأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى ، أي : (إن نفعت الذكرى) في هؤلاء الطغاة العتاة ، ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى ، فهو كقولنا : قل لفلان وأعد له إنْ سمعك؛ فقولنا : إن سمعك إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع (٤٣١).

ونفي المثلية في قوله سبحانه : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤٣٢) على سبيل التبكيت ،

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

فالدين واحد هو دين الإسلام ، فجيء بـ(إنْ) الشرطية الدالّة على الشكّ (على سبيل الفرض والتقدير ، أي : فإنْ حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة والسداد فقد اهتدوا . وفيه أنّ دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل ، لأنه حقّ وهدى وما سواه باطل وضلال . ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه : هذا هو الرأي الصواب ، فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به ، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك . ولكنك تريد تبكيت صاحبك ، وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه) (٤٣٣) .

٩- إذا بمعنى إذ وإيثار الأول بالعائد :

(إذا) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٤٣٤) ظرف للزمان الماضي مجرد عن معنى الشرط ؛ لأنّ الانفضاض هنا قد مضى ، فالتوبيخ نزل بعد الرؤية والانفضاض ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ (٤٣٥) وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (٤٣٦) .

وقال الأنباري : ولم يؤثر الأول بالعائد في القرآن كلّه إلا في هذا الموضع فتقديره : إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه: فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، و تقديره: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه ، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه ، والعطف بـ(أو) لا يحتاج إلى الضمير لكلّ منهما بل يكفي الرجوع لأحدهما ، وأوثر العود على التجارة ؛ لأنها سبب الانفضاض(٤٣٧).

١٠- إيثار الظاهر على المضمر:

جاء (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا) في قوله سبحانه : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٤٣٨) بمعنى : ثم نقول لهم ، فوضع

(الذين) موضع الضمير؛ للتنبيه على الوصف المترتب عليه توبيخهم ، ويحتمل أن يعود على الناس كلّهم وهم مندرجون في هذا العموم ، ثم تفرّد المشركون(٤٣٩).

وكان مقتضى الظاهر أن يعبر عن المشركين بضمير الغيبة فيقول : (عليهم) بدلا من (على الذين ظلموا) في قوله تعالى :﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٤٠)، فعدل عن الإضمار إلى الإظهار بالموصولية ؛ لما تؤذن به الصلة من التعليل والمبالغةِ في الذمّ والتقريع ، والتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسَهم بتعريضها لسخط الله تعالى(٤٤١).

وأدخل همزة الاستفهام على (لا) في قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٤٤٢) توبيخا ، وتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجُّب من اجترائهم عليه ، و(أولئك) إشارة إلى المطففين، ووضعه موضع ضميرهم؛ للإشعار بمناط الحُكم الذي هو وصفهم، فإنَّ الإشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه، وأمّا الضمير فلا يتعرّض لوصفه، وللإيذان بأنهم مُمازون بذلك الوصف القبيح أكمل امتياز، وما فيه من معنى البُعد للإشارة إلى بُعد درجتهم في الشرارة والفساد، أي: ألاَ يظنُّ أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع أنهم مبعوثون ليوم عظيم ولا يقادَر قدره، ويُحاسبون فيه على قدر الذرّة والخردلة، فإنَّ مَن يظن ذلك وإن كان ظنا ضعيفاً لا يكاد يتجاسر على تلك القبائح، فكيف بمَن يتيقنه؟(٤٤٣).

والمراد بـ(أهل القرى) في قوله : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٤٤٤) وضع المظهر موضع المضمر ؛ للإيذان بأنّ مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن مجموع الأمم ، وقيل : المراد بهم أهل مكة وما حواليها(٤٤٥) .

١- وضع المفرد موضع الجمع :

منه خطاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمراد به غيره أو على سبيل الفرض المحال في قوله سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٤٤٦) ؛ فلما كان الموحى إليهم أنه من أشرك حبط عمله سواء كان هو أو غيره ، صحّ قوله بالإفراد ، فعدل عن الجمع إلى ما ذكر ؛ لأنّه أعظم في النهي ، وآكد في الزجر ، لأنّ المشركين ينكرون معناه غاية الإنكار .

ولمّا تقرّر الترهيب أجاب الشرط والقسم بقوله : (ليحبطنّ) ، أي: ليفسدنّ فيبطلن عملك فلا يبقى له أثر ، فإنه من ذهب جميع عمله لا شكّ في خسارته ، والخطاب للرؤساء على هذا النحو أزجر للأتباع ، وإنْ كان المراد به في الحقيقة أتباعهم (٤٤٧).

١٢- وضع الجمع موضع المفرد :

صيغة الجمع في : (الذين يزعمون) في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٤٤٨) مراد بها أحد المنافقين ، وجيء باسم موصول الجماعة ؛ لأنّ المقام مقام توبيخ ؛ ليشمل المقصودَ ومن كان على شاكلته(٤٤٩).

١٣- هل بمعنى قد:

أفادت (هل) في قوله سبحانه : ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (٤٥٠) التحْقيق ؛ لأنها بمعنى (قد) في الاستفهام ، فهو توبيخ على ما يعلمونه محققاً من أفعالهم مع يوسف (عليه السلام) وأخيه ، أي : أفعالهم الذميمة بقرينة التوبيخ ، ولذلك جعل ذلك الزمن زمن جهالتهم بقوله : (إذ أنتم جاهلون) (٤٥١) .

الهوامش :

[١] – ينظر العين للفراهيدي:٣١٥/٤، و ٣٨٤/٨ .

[٢] – ينظر الصحاح للجوهري: ٤٣٤/١ .

[٣] – ينظر تهذيب اللغة للأزهري: ٨٩/١٠ .

[٤] – ينظر الْمُغْرِبِ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ للمُطَرِّزِىّ : ٤٧٥/١ .

---

[5] – ينظر لسان العرب لابن منظور:٢١٦/١، و٢٥٨/٩ .

[6] –ينظر الصحاح : ٢/ ٦٦٨ .

[7] – ينظر المصدر نفسه: ٢/ ٦٦٨ .

[8] – ينظر الكليات للكفوي: ٩٠٣.

[9] – ينظر التعريفات للجرجاني : ٣٦ ، و التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي : ١٨٦ .

[10] – ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٢٢٢/٢، والبرهان في علوم القرآن للزركشي : ٣٣٠/٣.

[11] – ينظر معاني القران وإعرابه للزجاج: ٤٣٦/٢ ، والكشاف للزمخشري : ٢١٤/٢ ، وخزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب للبغداي: ١٥/٢. ، وروح المعاني للآلوسي :٥٦/٣ .

[12] – الكليات : ٧٨٩/١ .

[13] – ينظر معترك الأقران للسيوطي :٣٢٩/١.

[14] – فاطر :٣٧ .

[15] – النساء :٩٧ .

[16] – ينظر لسان العرب : ٤٧١/١ ، والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ، وأحمد، وحامد عبد القادر : ٩٧٣/١ .

[17]. الخصائص : ٦٥/١ .

[18] – آل عمران : ١٤٤.

[19] – الكشاف : ٤٢٣/١ .

[20] – في ظلال القرآن لسيد قطب مج١ : ٢٨٦/٤.

[21] – البقرة : ٤٤ .

[22] – روح المعاني : ١/ ٢٥٠.

[23] – البقرة:٥٩ .

[24]– ينظر الكشاف: ١٤٣/١، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود : ١٠٥/١ .

[25] – آل عمران : ١٨١ .

[26] – البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : ٣/ ٤٥٦ .

[27] – ينظر الكشاف : ٢/ ٥٩٩، وروح المعاني :٧/ ١٥١.

[28] – التكوير : ١–٢٩ .

[29] – ينظر نظم الدرر للبقاعي : ٢٨٤،٢٩٠/٢١ ، ٢٩٤ .

[30]. الخصائص : ١٢٩/٣ .

[31] –. ينظر علم الدلالة العربي . النظرية والتطبيق . دراسة تاريخية ، تأهيلية ، نقدية . د.فايز الداية : ٢١/٢٠ .

[32] – الزمر : ٣٦ .

[33] – ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي : ١٦/ ٥١٠ .

[34] – الزمر : ٣٨ .

[35] – ينظر نظم الدرر: ١٦/ ٥١٠ .

[36] – الروم : ٣٣ .

[37] – ينظر مفتاح العلوم للسكاكي : ١٩٣ ، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني : ٢/ ١١٨ .

[38] – النساء : ١٠٧ .

[39]– ينظر الكشاف ٥٦٢/١ .

[40] – آل عمران : ٢٤ .

[41] – ينظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل : ٥/ ١١٩ ، وروح المعاني : ١٠٧/٢ .

الجديد و حصري NEW & EXCLUSIVE

---

[٤٢] – يونس : ٣٢ .

[٤٣] – ينظر روح المعاني : ٦/ ١٠٦.

[٤٤] – يس : ٨٣ .

[٤٥] – ينظر روح المعاني: ٥٥/١٢ .

[٤٦] – يونس : ٤٥ .

[٤٧] – ينظر معاني القرآن للزجاج : ٢٢/٣ .

[٤٨] – القلم : ٣٠ – ٣١.

[٤٩] – ينظر التبيان في تفسير القرآن للطوسي: ٧٨/١٠ ، ومفردات غريب القران للراغب الأصفهاني :٣٥٣/٢.

[٥٠] يس : ٥٢ .

[٥١] – يس :٥٢ .

[٥٢] – ينظر الكشاف : ٢٠/٤، وروح المعاني : ٣٢/١٢ .

[٥٣] – الأنبياء : ٤٦ .

[٥٤] – ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ٥٣/٤والبحر المحيط : ٤٣٥/٧ .

[٥٥] .ينظر في النحو العربي ، قواعد وتطبيق ، د. مهدي المخزومي : ١١٥ . ١١٦ ، واللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان :١٩٣. ١٩٤، ٢٠٥ .

[٥٦] –المنافقون : ٧ .

[٥٧] – ينظر البحر المحيط :١٨٣/١٠.

[٥٨] – ص : ٥٩-٦٠ .

[٥٩] – ينظر الكشاف : ١٠٢/٤ ، وروح المعاني : ١٢/ ٢٠٨ .

[٦٠] – التوبة : ٣٥ .

[٦١] – ينظر تفسير الرازي : ٤٠/١٦ .

[٦٢] – الرحمن :٤٣ .

[٦٣] – ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢٢٩/٣ .

[٦٤] – الأنعام : ٩١-٩٢ .

[٦٥] – التحرير والتنوير لابن عاشور : ٣٦٩/٧ .

[٦٦] – يوسف : ٣٢ .

[٦٧] – ينظر مفتاح العلوم : ١٨٤.

[٦٨] – سبأ : ٣٣ .

[٦٩] – سبأ : ٣٣ .

[٧٠] – ينظر الكتاب : ١٧٦/١.

[٧١] – ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٤/ ٢٥٤ ، الكشاف : ٣/ ٥٨٥ .

[٧٢] – ينظر مغني اللبيب لابن هشام : ٥١٠/٢ ، و اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩٤ . ١٩٥ .

[٧٣] – الذاريات : ٥٩ .

[٧٤] – ينظر التحرير و التنوير: ٣١/٢٧ .

[٧٥] – الشعراء : ٩٦-٩٨ .

[٧٦] – ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ١٤٣ ، و روح المعاني : ١٠/ ١٠٢.

[٧٧] – النمل : ٦٠ .

[٧٨] – ينظر نظم الدرر: ١٨٦/١٤.

---

[٧٩] – المائدة : ٥٠ .

[٨٠] – ينظر نظم الدرر:١٨٥/٦، وإرشاد العقل السليم : ٤٧/٣ .

[٨١] – مريم : ٢٨ .

[٨٢] – ينظر المحرر الوجيز لابن عطية :١٤/٤.

[٨٣] – الأنعام : ٩٣ .

[٨٤] – ينظر البحر المحيط : ٥٨٦/٤ .

[٨٥] – النساء : ١٥٣ .

[٨٦] – ينظر نظم الدرر: ٤٥٤/٥.

[٨٧] – ق : ٢٢ .

[٨٨] – ينظر تفسير القشيري : ٣/ ٤٥٢، و مفردات غريب القرآن : ٤٩/١ ، والبرهان في علوم القرآن : ٦١/٢.

[٨٩] – الجاثية : ٣٤ .

[٩٠] – النحل : ٢٨ .

[٩١] – روح المعاني : ٧/ ٣٦٩ .

[٩٢] – البقرة : ٢٢ .

[٩٣] – الكشاف : ٩٦/١.

[٩٤] – البقرة : ٤٤ .

[٩٥] – ينظر الكشاف : ١٣٣/١ ، و نظم الدرر ٣٣٧/١.

[٩٦] – الأنعام : ٩١ .

[٩٧] – ينظر روح المعاني :٢٠٨/٤.

[٩٨] – إبراهيم٦–٨ .

[٩٩] – ينظر المحرر الوجيز:٣٢٥/٣.

[١٠٠] – الأعراف : ١٦٠ .

[١٠١] – ينظر نظم الدرر:١٣٣/٨.

[١٠٢] – التوبة: ٦٥–٦٦ .

[١٠٣] – ينظر التحرير والتنوير : ١٠/ ٢٥٢ .

[١٠٤] – الفجر : ١٥ –٢٠ .

[١٠٥] – ينظر روح المعاني :٣٤١/١٥.

[١٠٦] – المائدة : ١١٠ .

[١٠٧] – ينظر الكشاف: ١/ ٦٩١ ، و روح المعاني ٥٤/٤ .

[١٠٨] – العنكبوت: ٢٩.

[١٠٩] – ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي: ٢٠٩ .

[١١٠] – الأنعام : ١٤٢ – ١٤٤ .

[١١١] – ينظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري : ١٨٣/١٢ ، والتبيان في تفسير القرآن :٢٩٩/٤ .

[١١٢] – البقرة : ٢٣ .

[١١٣] – إرشاد العقل السليم : ٦٦/١.

[١١٤] – آل عمران : ١٦٨ .

[١١٥] – ينظر التحرير والتنوير :١٦٢/٤ .

---

[١١٦] – سبأ : ٢٥ .

[١١٧] – ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم : ٦/٦٢–٦٣ .

[١١٨] – سبأ : ٢٤ .

[١١٩] – ينظر الانتصار للقران للباقلاني : ٢/ ٦٩٤، والبرهان في علوم القرآن : ١/٣٨٨ .

[١٢٠] – الأنبياء : ٦٢–٦٣ .

[١٢١] – ينظر البرهان في علوم القرآن:٤/٥٠ ، البحر المديد لابن عجيبة : ٣/ ٤٧٣.

[١٢٢] – المائدة : ١٨ .

[١٢٣] – المؤمنون:٩١ .

[١٢٤] – آل عمران:٥٧ .

[١٢٥] – المائدة :١٨.

[١٢٦] – التوبة : ٣٠ .

[١٢٧] – التوبة : ٣٠ .

[١٢٨] – التوبة : ٣٠.

[١٢٩] – المؤمنون:٩١.

[١٣٠] – المنافقون : ١.

[١٣١] – ينظر البرهان في علوم القرآن : ٣/٤١٢ .

[١٣٢] – المنافقون : ١.

[١٣٣] .ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٣٢٨ .

[١٣٤] – البقرة : ١٤٦ .

[١٣٥] – البقرة : ١٥٩ .

[١٣٦] – ينظر نظم الدرر: ٢/ ٢٧٣.

[١٣٧] – الإسراء : ٣ .

[١٣٨] – ينظر إرشاد العقل السليم : ٥/ ١٥٦ ، و روح المعاني : ٨/١٧ .

[١٣٩] – البقرة: ٢١٣ .

[١٤٠] – ينظر التحرير والتنوير : ٢/ ٣٠٩.

[١٤١] – آل عمران : ١٦٥ .

[١٤٢] – ينظر إرشاد العقل السليم : ٢/ ١٠٩.

[١٤٣] – النساء : ١٣٤ .

[١٤٤] – ينظر روح المعاني : ٨/ ١٧ .

[١٤٥] – التوبة : ٧٤ .

[١٤٦] – ينظر معاني القرآن للفراء :١/٤٤٦ .

[١٤٧] – الأعراف: ١٢٣ .

[١٤٨] – ينظر الكشاف : ٢/ ١٤١.

[١٤٩] – ص : ٧٥ .

[١٥٠] – ينظر البحر المحيط : ٩/١٧٥ .

[١٥١] – النحل : ٨٣ .

[١٥٢] – ينظر المحرر الوجيز :٣/ ٤١٣ ، والبحر المحيط : ٦/ ٥٧٨ .

[١٥٣] – الأنعام : ١٥٧ .

---

[١٥٤] – ينظر الكشاف : ٨١/٢ .

[١٥٥] – إبراهيم : ٤٤ .

[١٥٦] – ينظر جامع البيان في تأويل القرآن :٣٦/١٧ ، وإرشاد العقل السليم : ٥٦/٥ .

[١٥٧] – الحديد : ٨-١٠ .

[١٥٨] – إرشاد العقل السليم : ٨/ ٢٠٦ .

[١٥٩] – الرعد : ٣٣ .

[١٦٠] – ينظر معاني القرآن للأخفش: ٤٠٥/٢، واللباب في علوم الكتاب : ١١ / ٣١٠ ، و روح المعاني : ١٥٣/٧.

[١٦١] – البقرة : ١٥٩ .

[١٦٢] – ينظر نظم الدرر : ٢/ ٢٧٥ .

[١٦٣] – البقرة : ٢٣٤- ٢٣٥ .

[١٦٤] – ينظر الكشاف : ١/ ٢٨٣ .

[١٦٥] – الروم : ٣٣ .

[١٦٦] – ينظر مفتاح العلوم :٢٤٢ ، والكليات : ١/ ٢٨٠.

[١٦٧] – البقرة : ٢١١ .

[١٦٨] – ينظر الكشاف : ١/ ٢٥٤ ، وروح المعاني : ١/ ٤٩٤ .

[١٦٩] – آل عمران : ١٤٦ .

[١٧٠] – ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١/ ٤٧٥- ٤٧٦ ، والبحر المحيط : ٣/ ٣٦٨ ، و روح المعاني : ٢/٢٩٤-٢٩٥.

[١٧١] – الأنعام : ١٤٣-١٤٤.

[١٧٢] – ينظر البحر المحيط: ٦٧٢/٤ .

[١٧٣] – الأنفال : ٥٠ – ٥١ .

[١٧٤] – ينظر البحر المحيط :٣٣٦/٥ .

[١٧٥] – مريم : ٢٧-٢٨ .

[١٧٦] – ينظر التحرير والتنوير : ٩٥/١٦.

[١٧٧] – الأنبياء : ٦٦ .

[١٧٨] – الأنبياء / ٦٧ .

[١٧٩] – نظم الدرر ٤٤٣/١٢ .

[١٨٠] – الأعراف : ٨٠ .

[١٨١] – ينظر روح المعاني : ٤٠٦/٤-٤٠٧ .

[١٨٢] – التوبة : ٤٤ .

[١٨٣] – ينظر جامع البيان في تفسير القرآن : ٢٧٥/١٤.

[١٨٤] – النور: ٦٢ .

[١٨٥] – آل عمران : ١١٠ .

[١٨٦] – ينظر البحر المحيط : ٣٠٢/٣.

[١٨٧] – التوبة : ٤٢ .

[١٨٨] – ينظر تفسير ابن كثير: ٤/ ١٥٨.

[١٨٩] – المائدة : ١١٦ .

[١٩٠] – ينظر نظم الدرر:٦/ ٣٦٥ .

[١٩١] – سبأ : ٣١ .

---

[١٩٢] – ينظر المحرر الوجيز : ٤/ ٤٢١ ، وروح المعاني : ٣٢٠/١١ .

[١٩٣] – الأعراف : ٨١ .

[١٩٤] – ينظر التحرير والتنوير : ٢٣١/٨.

[١٩٥] – غافر : ٥٨ .

[١٩٦] – ينظر التحرير والتنوير : ٢٤/ ١٧٨.

[١٩٧] – هود : ٥ .

[١٩٨] – ينظر نظم الدرر ٣٢٥/٩ .

[١٩٩] – الحجرات : ٧ .

[٢٠٠] – ينظر البحر المحيط : ٩/ ٥١٣ .

[٢٠١] – الأنعام : ١٠٠ .

[٢٠٢] – ينظر البرهان في علوم القرآن:٢٣٦/٣ .

[٢٠٣] – محمد : ٢٠ .

[٢٠٤] – القيامة : ٣٤-٣٥ .

[٢٠٥] – ينظر الكشاف ٦٦٤/٤ ، والمحرر الوجيز : ١١٧/٥.

[٢٠٦] – إبراهيم : ٤٤ .

[٢٠٧] – ينظر التحرير والتنوير : ١٣/ ٢٤٨.

[٢٠٨] – البقرة : ١٧١ .

[٢٠٩] – . ينظر جامع البيان في تأويل القرآن : ١٧/ ٣٦، و تفسير الرازي :١٩٠/٥.

[٢١٠] – النساء : ٧٧ .

[٢١١] – ينظر التحرير والتنوير : ٥/ ١٢٥ .

[٢١٢] – البقرة: ١٧- ١٨ .

[٢١٣] – ينظر الكشاف : ٧٢/١ .

[٢١٤] – ص : ٢١-٢٥ .

[٢١٥] – ينظر الكشاف : ٤/ ٨١ .

[٢١٦] – النور : ٥٤ .

[٢١٧] – ينظر الكشاف :٢٥٠/٣، وروح المعاني : ٣٣٣/١٢.

[٢١٨] – الأعراف : ١٦٩ .

[٢١٩] – التحرير والتنوير: ٩/ ١٦٣.

[٢٢٠] – مريم : ٨٨- ٨٩ .

[٢٢١] – ينظر البرهان في علوم القرآن : ٣٣٠/٣.

[٢٢٢] – غافر : ٧٥ .

[٢٢٣] – ينظر ملاك التأويل : ٩٥٨/١، و روح المعاني : ٣٣٩/١٢ .

[٢٢٤] – النور : ١٢ .

[٢٢٥] – الكشاف : ٢١٨/٣

[٢٢٦] – الكهف : ١٠٣ -١٠٤ .

[٢٢٧] – ينظر التحرير والتنوير : ١٦/ ٤٦ .

[٢٢٨] – الرعد : ١٦ .

[٢٢٩] – ينظر البحر المحيط:٦/ ٣٧١ .

---

[٢٣٠] – البقرة : ١٢٤-١٢٥ .

[٢٣١] – ينظر نظم الدرر : ٢/ ١٥٥.

[٢٣٢] – غافر : ٤١-٤٢.

[٢٣٣] – ينظر أنوار التنزيل : ٥٨/٥ .

[٢٣٤] – ينظر خزانة الأدب للحموي :٣٦٢/١.

[٢٣٥] – النحل : ٥-٦ .

[٢٣٦] – ينظر الكشاف : ١٥٤/١، وروح المعاني : ٣٤٢/٧ .

[٢٣٧] – الإسراء : ٣٤ .

[٢٣٨] – ينظر الكشاف : ٤٦/٧ .

[٢٣٩] – القصص : ٧٢-٧٣ .

[٢٤٠] – ينظر الكشاف : ٤٢٩/٣ .

[٢٤١] – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر:١٨٠ .

[٢٤٢] – الأنعام : ١٥٦ .

[٢٤٣] – ينظر روح المعاني :٣٠٣/٤.

[٢٤٤] – آل عمران :١٧٨.

[٢٤٥] – النحل :٥٤-٥٥ .

[٢٤٦] – النحل:٧٠ .

[٢٤٧] – ينظر التحرير والتنوير : ٥/ ٢١٢ .

[٢٤٨] – غافر : ١٠ .

[٢٤٩] – ينظر المحيط ٢٤١/٩، و وروح المعاني: ١٢/ ٣٠٤ .

[٢٥٠] – النمل : ٨٢ .

[٢٥١] – ينظر روح المعاني :١٠/ ٢٣٥-٢٣٦.

[٢٥٢] – الرحمن : ١-١٠ .

[٢٥٣] – المسد : ١ .

[٢٥٤] – ينظر التحرير والتنوير : ٣٠/ ٦٠٠.

[٢٥٥] – المطففين : ١ .

[٢٥٦] – آل عمران : ١٤٣ .

[٢٥٧] – ينظر المحرر الوجيز:٥١٦/١ .

[٢٥٨] – البقرة : ٣٣-٣٤ .

[٢٥٩] – ينظر المحرر الوجيز: ١٢٦/١.

[٢٦٠] – الإسراء : ٨٥ .

[٢٦١] – الكهف : ٩ .

[٢٦٢] – الكهف :٨٣ .

[٢٦٣] – الكهف : ٣٢ .

[٢٦٤] – الكهف : ٦٥ .

[٢٦٥] – ينظر نظم الدرر: ١١/١٢ .

[٢٦٦] – سبأ : ٤٠-٤٢ .

[٢٦٧] – المائدة : ١١٦ .

---

[٢٦٨] – ينظر الكشاف : ٣/ ٥٨٨ .

[٢٦٩] – الكهف : ٣٢ – ٣٩ .

[٢٧٠] – ينظر المحرر الوجيز : ٥١٧/٣.

[٢٧١] – البقرة : ٦٤ .

[٢٧٢] – ينظر الكشاف : ٣/ ٥١٥.

[٢٧٣] – الأنعام : ١-٢ .

[٢٧٤] – ينظر المحرر الوجيز:٢/ ٢٦٧.

[٢٧٥] – البقرة : ٨٥ .

[٢٧٦] – الصافات :٦٦ .

[٢٧٧] – النساء : ١٠٩.

[٢٧٨] – محمد: ٣٨.

[٢٧٩] – الأعراف : ١٦١-١٦٢ .

[٢٨٠] – البقرة : ٥٨ .

[٢٨١] – ينظر التحرير و التنوير: ١٤٥/٩.

[٢٨٢] – الشعراء : ٩١-٩٣ .

[٢٨٣] – ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٣/ ١٠٨ ، و البحر المديد: ٤/ ١٤٦ .

[٢٨٤] – البقرة : ١١٤ .

[٢٨٥] – ينظر نظم الدرر: ١١٨/٢ .

[٢٨٦] – الأعراف : ١٦٠ .

[٢٨٧] – ينظر نظم الدرر: ٥٢٢/١٥ و ١٣٣/٨ .

[٢٨٨] – الروم :٥٦ .

[٢٨٩] – الفرقان : ١٧- ١٩ .

[٢٩٠] – ينظر الكشاف : ٣/ ٢٧١ ، وروح المعاني : ٩/ ٤٤١ ، والتحرير والتنوير : ١٨/ ٣٤١ .

[٢٩١] – المؤمنون : ٦٨-٧٢.

[٢٩٢] – ينظر إرشاد العقل السليم :١٤٥/٦ ، وروح المعاني : ٩/ ٢٥٤.

[٢٩٣] – الأنبياء : ٤٢-٤٣ .

[٢٩٤] – ينظر إرشاد العقل السليم :٦٩/٦ ، و البحر المديد: ٣/ ٤٦٤.

[٢٩٥] – البقرة : ١٣٣ .

[٢٩٦] – ينظر المحرر الوجيز : ١/ ٢١٣ ، البحر المحيط : ٦٣٨/١.

[٢٩٧] – القيامة : ١١-٢١ .

[٢٩٨] – القيامة : ٣ .

[٢٩٩] – القيامة : ٣، ١٥.

[٣٠٠] – ينظر الكشاف: ٤/ ٦٦٢ ، و التحرير والتنوير : ٣٥١/٢٩ .

[٣٠١] – الانفطار :٦-٩ .

[٣٠٢] – التحرير والتنوير: ٣٠/ ١٧٨.

[٣٠٣] – سبأ : ٢٧ .

[٣٠٤] – الكشاف: ٣/ ٥٨٣.

[٣٠٥] – هود:٥٤-٥٥.

---

[٣٠٦] – إرشاد العقل السليم : ٢١٨/٤ .

[٣٠٧] – البقرة : ٢٣ .

[٣٠٨] – ينظر الكشاف : ٩٧/١ .

[٣٠٩] – الأعراف : ١٩٥ .

[٣١٠] – ينظر البحر المحيط : ٢٥٢/٥.

[٣١١] – سبأ:٢٧ .

[٣١٢] – ينظر أنوار التنزيل :٢٤٧/٤.

[٣١٣] – ينظر البرهان: ٣٤٠/٢.

[٣١٤] – آل عمران : ١١٩ .

[٣١٥] – ينظر الكشاف : ١/ ٤٠٦ –٤٠٧.

[٣١٦] – النساء : ١٠٩ .

[٣١٧] – ينظر إرشاد العقل السليم : ٢٣٠/٢ .

[٣١٨] – ينظر الكشاف: ٣٧١/١ ، ونظم الدرر:٤٥٠/٤ .

[٣١٩] – المجادلة : ١٨.

[٣٢٠] – الكشاف : ٤٩٦/٤.

[٣٢١] – القصص : ٨٠ .

[٣٢٢] – ينظر الكشاف: ٤٣٢/٣ .

[٣٢٣] – المرسلات : ١٥،١٩،٢٤،٢٨،٣٤،٣٧،٤٠،٤٥، ٤٧، ٤٩ ، والمطففين : ١٠ .

[٣٢٤] – المطففين : ١ .

[٣٢٥] – الكتاب : ٣٣١/١.

[٣٢٦] – آل عمران : ١١٩ .

[٣٢٧] – ينظر المحرر الوجيز: ١/ ٤٩٨.

[٣٢٨] – البحر المحيط: ٣/ ٣٢١.

[٣٢٩] – البقرة : ٤١ .

[٣٣٠] – ينظر نظم الدرر:٣١٧/١.

[٣٣١] – الزخرف : ٤٩.

[٣٣٢] – ينظر نظم الدرر: ٤٤٤/١٧ .

[٣٣٣] – هود : ٦٢ .

[٣٣٤] –هود : ٥٣ .

[٣٣٥] – ينظر التحرير والتنوير: ١٢/ ١٠٩ .

[٣٣٦] – الكهف : ٤٩.

[٣٣٧] – ينظر معاني القرآن للزجاج :٢٨٤/٤ ، وروح المعاني : ٢٧٥/٨.

[٣٣٨] – يس:٣٠ .

[٣٣٩] – يس:٥٢ .

[٣٤٠] – الزمر :٥٦.

[٣٤١] – الإسراء :٤٠.

[٣٤٢] – هود : ٢٨ .

[٣٤٣] – فاطر :٣٧ .

---

[٣٤٤] – ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ٢١٣.

[٣٤٥] – الشعراء : ٧٢-٧٣ .

[٣٤٦] – الزمر : ٣٦ .

[٣٤٧] – الأعراف : ١٧٢ .

[٣٤٨] – ينظر الكشاف : ١٧٦/١ ، و الإتقان: ٢٦٨/٣ .

[٣٤٩] – البقرة : ١٠٦ .

[٣٥٠] – الأحقاف : ٢٠ .

[٣٥١] – ينظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ١/ ٤١٤ .

[٣٥٢] – ينظر الكشف والبيان للثعلبي : ١٢/ ١٥٧.

[٣٥٣] – المحرر الوجيز : ٥/ ١٠٠.

[٣٥٤] – البقرة : ٨٠-٨١ ؟

[٣٥٥] – ينظر إرشاد العقل السليم : ١٢١/١.

[٣٥٦] – المدثر : ٤٢ .

[٣٥٧] – المدثر : ٤٣-٤٦ .

[٣٥٨] – ينظر الكشاف: ٤/ ٦٥٥.

[٣٥٩] – التكوير : ٨-٩ .

[٣٦٠] – المائدة : ١١٦ .

[٣٦١] – ينظر الكشاف : ٤/ ٧٠٨.

[٣٦٢] – الملك : ٨-٩ .

[٣٦٣] – ينظر الكشاف: ٤/ ٥٧٨.

[٣٦٤] – الزمر : ٧١

[٣٦٥] – ينظر روح المعاني : ١٢/ ٢٨٦ .

[٣٦٦] – الصافات : ٦٢ .

[٣٦٧] – ينظر روح المعاني : ٩٢/١٢.

[٣٦٨] – الدخان : ٣٧ .

[٣٦٩] – القمر : ٤٣ .

[٣٧٠] – ينظر روح المعاني : ٩١/١٤ .

[٣٧١] – غافر : ٦٢ .

[٣٧٢] – ينظر نظم الدرر: ١١٦/٩ .

[٣٧٣] – يونس : ٣٢ ، والزمر : ٦.

[٣٧٤] – ينظر روح المعاني : ١٠٥/٦ .

[٣٧٥] – البقرة : ٢٨ .

[٣٧٦] – ينظر الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٩/٣ .

[٣٧٧] – البقرة: ٤٤ .

[٣٧٨] – يس : ٢٢-٢٤ .

[٣٧٩] – ينظر الكشاف: ٤/ ١٠.

[٣٨٠] – يس : ٢٣-٢٤ .

[٣٨١] – ينظر الكتاب : ٩٨/١ ، و ١١٥/٣ ،و معاني القران للزجاج ٤٣٦/٢ ، والكشاف ٢١٤/٢ ، وخزانة الأدب ولبّ لباب لسان

العرب للبغدادي: ١٥/٢ ، و روح المعاني :٥٦/٣ .

[٣٨٢] – شرح الكافية للرضي: ١/٤٤٣– ٤٤٤.

[٣٨٣] – يونس : ٩٦–٩٨ .

[٣٨٤] – ينظر المحرر الوجيز: ١٤٤/٣ .

[٣٨٥] – التوبة : ١٢٢ .

[٣٨٦] – ينظر مشارق الأنوار :٢٤٨/٢.

[٣٨٧] – التوبة : ١٣.

[٣٨٨] – ينظر معاني القران للزجاج ، و خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب : ١٥/٢ .

[٣٨٩] – المائدة : ٦٣ .

[٣٩٠] – ينظر تفسير الطبري : ٤٤٩/١٠ ، والكشاف : ٢١٤/٢ .

[٣٩١] – ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٦٣ ، والإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : ٥٧ . ٥٨ .

[٣٩٢] – ينظر التعريفات : ٩٩ ، واللغة العربية معناها ومبناها : ١٩١ . ١٩٢ .

[٣٩٣] – الجاثية : ٣٤ .

[٣٩٤] – ينظر الكتاب : ١٧٦/١، و البحر المحيط : ٩/ ٤٢٧ .

[٣٩٥] – البقرة : ١٧٤ .

[٣٩٦] – ينظر معاني القران واعرابه للزجاج : ١٧٧/٢ ، والكشاف:٢١٥/١ ، وتفسير مجمع البيان للطبرسي:٣٣٨/٣ ، والتحرير والتنوير: ٢/ ١٢٣ .

[٣٩٧] – المائدة :٤٢ .

[٣٩٨] – النور : ١٥ .

[٣٩٩] – ينظر الكشاف: ٢١١/٣ ، والتحرير والتنوير : ١٧٧/١٨–١٧٨ .

[٤٠٠] – القمر : ٤٣ .

[٤٠١] – سبأ : ٢٤ .

[٤٠٢] – المائدة : ١١٦ .

[٤٠٣] – ينظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري: ٢٠/ ٤٠٢ ، ومفتاح العلوم للسكاكي : ٢٩٠ ، وتحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع : ١٣٥،/١ ، و خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي: ٢٧٤/١ .

[٤٠٤] – الأعراف : ١٣٩ .

[٤٠٥] – ينظر الكشاف:٣٨٤/٢، و اللباب في علوم الكتاب : ٩/ ٢٩٥، وإرشاد العقل السليم :٤/ ١٩٤ ، والتحرير والتنوير :٨٣/٩ .

[٤٠٦] – الفرقان : ١٠ .

[٤٠٧] – ينظر روح المعاني : ٤٢٩/٩ .

[٤٠٨] – البقرة : ٢٨ .

[٤٠٩] – البحر المحيط :٢٠٩/١ .

[٤١٠] – الرحمن :٤٣ .

[٤١١] – ينظر روح المعاني :١١٤/١٤.

[٤١٢] – البقرة : ٤١ ، و المائدة : ٤٤ .

[٤١٣] – ينظر البحر المحيط:٢٨٨/١ ، و روح المعاني :٢٤٧/١، والتحرير والتنوير:٤٦٤/١ .

[٤١٤] – الحجر:٢–٣ .

[٤١٥] – ينظر الكشاف : ٢/ ٥٦٩ ، وروح المعاني : ٧/ ٢٥٥ .

[٤١٦] – الصف: ٥ .

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

---

[٤١٧] – ينظر الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنيّر بحاشية الكشاف: ٢/٥٦٩ ، وروح المعاني :٧/٢٥٥.

[٤١٨] – الزخرف : ٥ .

[٤١٩] – البقرة : ٢٣ .

[٤٢٠] – ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : ٢/١١٩-١٢٠.

[٤٢١] – الحج : ٥ .

[٤٢٢] – الجمعة : ٦ .

[٤٢٣] – المائدة : ١٨ .

[٤٢٤] – الزخرف : ٥ .

[٤٢٥] – ينظر التحرير والتنوير : ٢٨/٢١٦ .

[٤٢٦] – البقرة :١٣٧ .

[٤٢٧] – الأنفال : ٣٢ .

[٤٢٨] – الزخرف : ٨١ .

[٤٢٩] – ينظر الكشاف : ١/١٩٥و٤/٢٦٦ .

[٤٣٠] – الأعلى : ٩ .

[٤٣١] – ينظر البحر المحيط : ١٠/٤٥٧.

[٤٣٢] – البقرة : ١٣٧ .

[٤٣٣] – الكشاف :١/١٩٥ .

[٤٣٤] – الجمعة : ١١ .

[٤٣٥] – النساء : ٨٣ .

[٤٣٦] – التوبة : ٩٢.

[٤٣٧] – ينظر الكشاف :٤/٥٣٧ ، والبرهان في علوم القرآن : ٤/٣١ .

[٤٣٨] – الأنعام : ٢٢ .

[٤٣٩] – ينظر البحر المحيط : ٤/٤٦٤

[٤٤٠] – البقرة : ٥٩ .

[٤٤١] – ينظر إرشاد العقل السليم : ١/١٠٥ .

[٤٤٢] – المطففين:٤-٥ .

[٤٤٣] – ينظر البحر المديد : ٧/٢٥٩ .

[٤٤٤] – الأعراف : ٧-٩ .

[٤٤٥] – ينظر روح المعاني :٥/١٢ .

[٤٤٦] – الزمر : ٦٥ .

[٤٤٧] – ينظر نظم الدرر : ٧/ ٢٧٤ .

[٤٤٨] – النساء :٦٠ .

[٤٤٩] – ينظر التحرير والتنوير:٥/١٠٤.

[٤٥٠] – يوسف : ٨٩ .

[٤٥١] – ينظر البحر المحيط:٦/٣١٨ ، والتحرير والتنوير : ١٣/٤٧ .

المصادر والمراجع .

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، منشورات دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٩٧٨م .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (ت٩٥١ه) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، (د.ت) .

٣- الانتصار للقرآن ،محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣ه) ،تحقيق الدكتور محمد عصام القضاة ، دار الفتح ، عَمَّان، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢ ه - ٢٠٠١ م .

٤- الانتصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال، أحمد بن المنير الاسكندري، بحاشية الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٦ه .

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ت٦٨٥ه)، أبو الفضل القريشي الصديقي الخطيب البيضاوي ، مطبعة مصطفى محمد، مصر . (د.ت) .

٦- أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (١٠٥٢-١١٢٠ه) ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ط١ ،١٣٨٩ه- ١٩٦٩م .

٧- الإيضاح في علوم البلاغة ،محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩ه) ،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ،ط٣ .

٨- البحر المحيط، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ه)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض (د.ت) .

٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤ه) ، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢ ، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٢ م.

١٠- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ ه)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة. ط٣ ، ١٤٠٠ ه / ١٩٨٠ م .

١١- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ه)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ه .

١٢- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (ت ٦٥٤هـ) ، تقديم وتحقيق الدكتور حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٣- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .

١٤- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٥- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٧م .

١٦- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

١٧- التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) ، عالم الكتب ، القاهرة ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح القرطبي أبو عبد الله (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ .

٢٠- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، ٢٠٠٤م .

٢١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٢٢- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت) .

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م .

٢٤- شرح الكافية، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٢٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ .

٢٦- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي ، والدكتور إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢، ١٤٠٩هـ .

٢٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٨، ١٩٧٩م .

٢٨- في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث . الدكتور مهدي المخزومي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ط١ . ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

٢٩- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون – عالم الكتب، بيروت ، ط٣ ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جاد الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٢٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٤١٦،١هـ .

٣١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

٣٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق عدنان درويش ، و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٣- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ) ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .

٣٤- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ،ط٣ ، ١٤١٤ هـ

٣٥- لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط٣ .

٣٦- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان عمر ، عالم الكتب ،ط٥ ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٦٠هـ)، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ .

٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية (٤٨١-٥٤٦هـ)، تحقيق علي عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .

٣٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث .د.ت

٤٠- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخيّ البصريّ المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد، بيروت، ١٩٨٥م ، وتقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٤١- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ)، تقديم وتعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٤٢- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م .

٤٤- المعجم الوسيط ، تأليف إبراهيم مصطفى، و أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، مصر، ط٣.

٤٥- الْمُغْرِبِ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ ، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (ت ٦١٠هـ) ، دار الكتاب العربي .د.ت

٤٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت) .

٤٧- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

٤٨- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د.ت) .

٤٩- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ) ،وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

٥٠- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، مراجعة وتصحيح علي محمد الضباع ، مطبعة مصطفى محمد . مصر . (د.ت) .

٥١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (٨٠٩-٨٨٥هـ) . دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ،١٤١٥هـ/١٩٩٥م .